العدد الثانى من السنة الرابعة — المحرم سنة ١٣٦٢ — فبراير سنة ١٩٤٣

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

	صفحة
اهتمام جلالة الملك بالفقراء	٣
النداء لوزارة الشؤون	٦
الاحتفال بالعام الهجرى	١١
حاجتنا إلى التنظيم الاقتصادى ... ... عبد القادر الجمال باشا	١٣
ميادين النشاط الشاغرة	١٨
حلقة مفقودة ... ... الأستاذ سيد قطب	٢٣
الأسرة الإنجليزية	٢٨
ملاحظات عابرة	٣٤
حينما تقلد ... ... الأستاذ فايد العمروسى	٣٨
الروح العدلية عند الفرد والمجتمع ... ... الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم	٤٣
الرسالة الحقيقية للمرأة ... ... الكاتبة زينب محمد حسين	٤٧
تغذية الطفل وغذاؤه ... ... الدكتور مصطفى الديوانى	٥١
مجانية التعليم ... ... الأستاذ عماد الدين عبد الحميد	٥٦
أثر الدعاية السليمة فى توجيه الشعوب ... ... الشيخ مصطفى الجداوى	٥٩
صور من القاهرة المجهولة ... ... الأستاذ محمد عبد الكريم	٦٥
حب الظهور ... ... الأستاذ عيسى متولى	٧٣
المحيط الصاخب (قصة اجتماعية) ... ... الأستاذ سمير محمد	٧٦

اهتمام جلالة الملك بالفقراء

النطق الملكى لأعضاء مكتب الشيوخ

"يهمنى جدا أن توجهوا فى المجلس عنايتكم واهتمامكم إلى المشروعات التى تعود على الطبقات الفقيرة وعلى طوائف صغار العاملين بالمساعدة وتخفيف الأعباء الثقيلة عنهم فى الظروف الحاضرة .

" وقد خبرت بنفسى حالة هذه الطبقات فتركت فى نفسى أثرا مؤلما .

" ان الحكومة تفكر فى مشروعات كثيرة من هذا القبيل ، ولكن يجب من جهتكم أن تعاونوها فى ذلك " .

من هذه الكلمات الكريمة التى وجهها جلالة الملك إلى حضرات أعضاء المكتب البرلمانى لمجلس الشيوخ يشع الأمل و ينبعث الرجاء فى مستقبل الاصلاح الاجتماعى الذى يقوم فى صميمه على الاهتمام بالطبقات الفقيرة وتيسير الحياة لها ، وتخفيف الأعباء الثقيلة عنها ولا سيما فى الظروف الحاضرة .

و إن هذه الكلمات السامية لتشير إلى الآفاق الوضيئة التى يهدف إليها المستقبل ، والتى تستشرف لها أنظار المصلحين الاجتماعيين فى هذه البلاد .

و إنها لمكسب لا شك فيه لهؤلاء الفقراء ، وللنهضة الاجتماعية ، وللمستقبل الوطن كله.

* * *

" إن الحكومة تفكر فى مشروعات كثيرة من هذا القبيل ولكن يجب من جهتكم أن تعاونوها فى ذلك " .

أى نعم ؛ فقد سنت الحكومة بالفعل قانون مشروع "تحسين الصحة القروية" وقانون مشروع إعفاء الملاك الصغار من الضريبة العقارية ، وللريف فى كلا المشروعين ربح كبير.

ثم سنت الحكومة كذلك مشروع قانون النقابات وقانون التأمين الاجبارى ضد إصابات العمل ، ثم قدمت فى هذه الدورة قانون عقد العمل المشترك وقانون التأمين ضد المرض والشيخوخة . وللعمال فيها جميعا ربح كبير .

وإنها لتهم بتوزيع أطيان الحكومة على صغار الفلاحين ؛ فتخلق من العدم آلافا من الأسر الجديدة ترفعها من حضيض الفقر إلى حياة معقولة مناسبة .

وإنها — ممثلة فى وزارة الشؤون الاجتماعيـة — لدائبة التفكير والتنفيذ لعدد كبير من المشروعات التى تتصل بهذه الأغراض الكبرى فى إصلاح حال الفقراء .

وحكومة ديمقراطية لا بد لهـا من معاونة مجلسى البرلمـان فى سياستها هذه حتى تختصر الوقت ، وتجد المـال ، وتحس بأنها تلبى بمشروعاتها رغبات البلاد .

والنطق الملكى الكريم يرمز إلى هذا كله فى إيجاز يحفز الهمة ويوحى بالآمال .

* * *

نشرت صحيفة البلاغ خبرا عابرا عن شؤون التموين ولكنه عميق الدلالة فى هذا الصدد ، فقد قالت :

" لوحظ فى الأيام الأخيرة أن لجان توزيع الكيروسين لم توزع على الأهالى كوبونات من فئة نصف لتر فلما سألوا عن الباعث على ذلك قيل لهم : إن هذه الكوبونات قد قصر استعمالهـا على سكان الريف دون سكان المدن .

"ولمـا كان يوجد فى العاصمة وغيرها عدد كبير من أفراد الطبقات الفقيرة التى لا تحتمل شراء لتر من البترول دفعة واحدة فقد رفعت إحدى فرق البوليس تقريرا إلى المحافظة بطلب الموافقة على صرف هذه الكوبونات تخفيفا على أفراد هذه الطبقات . غير أن المحافظة عادت فعلمت أن بعض تجار التجزئة قد تعودوا أن يكتبوا إيصالات على أنفسهم بالنصف الباقى من اللتر فى حالة تقدم أفراد هذه الطبقات إليهم على أن يحصلوا بمقتضى هذه الإيصالات بعد ذلك على الكمية المدونة فيها " .

فهذا الخبر العابر يصور حالة بعض الطبقات فى مصر ، وهؤلاء وأمثالهم هم الذين يعنيهم النطق الملكى بقوله : "وقد خبرت بنفسى حالة هذه الطبقات فتركت فى قلبى أثرا مؤلمـا " .

على أن الكلمات لا تصوّر بالضبط حالة بعض هؤلاء الناس . فقد خطر لى قبل العيد الفائت بيوم أن أقوم بجولة قصيرة فى حى واحد من أحياء القاهرة الواقعة خلف الجامعة الأزهرية والمشهد الحسينى لأرى كيف يستقبل أهلوه العيد .

وهناك فى "كفر الزغارى . والعطوف . وحارة كفر الطماعين" وما يتفرع منها من حارات ودروب وأزقة ، علمت الكثير عن هـذه الأحياء وعرفت القيمة الحقيقية لمشروع

صاحب العزة مفتش صحة العاصمة الذى يقضى بتطهير هـذه الأحياء وتنظيفها وتبخير منازلها ورشها بالجير وتوزيع الصابون على أهلها مع بعض الإرشادات الصحية .

إنه لمشروع عظيم ، ولكن عظمته لا تبدو على حقيقتها إلا لمن يستطيع أن يقوم بجولة كالتى قمت بها يوم وقفة عيد الأضحى فى هذه الأحياء ، هذه الجولة التى خرجت منها وأنا أردد لنفسى بصوت مسموع : " أريد عشرة آلاف متطوع اجتماعى للقاهرة " .

نعم عشرة آلاف متطوع يرودون أحياء القاهرة الفقيرة جميعها ، ويدخلون هذه المساكن ويتعرفون إلى أهلها ، ويدرسون وسائل معيشتهم وطرق كسبهم ، ويحاولون أن يبثوا النور فى هذه المآوى .

ثم تذكرت أن وزارة الوقاية كانت قد طلبت مليونا من الجنيهات لشق الطرق فى مثل هذه الأحياء وتوسيع المعابر للمرور على إثر ما تبين لها من عدم استطاعة عربات الاسعاف والحريق أن تصل إليها وتجوس خلالها لو وقعت عليها الغارات الجوية ... ... فهتفت لنفسى متى ! متى يتحقق ذلك الحلم الجميل ؟

إلا أن وزارة الصحة كفتنى مؤونة التخمين . فقد وضعت فى مشروعات السنوات العشر أن تجدد أحياء القاهرة من هـذا الطراز ، وأن تنشر فيها النور والنظافة والصحة فى خلال عشر سنوات .

قل معى : حقق الله الآمال .

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المفضَى اليه المعمَّم

ولم يعطهم شيئا أبوا أن يسودهم وهان عليهم زعمه وهو ألوم

النشاط الاجتماعى

لوزارة الشؤون الاجتماعية

بناء الأسرة ، بيوت الطلبة ، السجان ، الخدمة الاجتماعية للعمال

(١)

من الإحصائيات المزعجة تلك الإحصائية التى نشرت عن الزواج والطلاق ، فاستدعت من وزارة الشؤون الاجتماعية الاهتمام والبحث فى العلاج .

تقول هذه الإحصائية المزعجة : إن ثمانمائة ألف زواج قد تم فى خلال العام ، وأن مائة ألف طلاق قد وقعت فى هذه المدة نفسها . ومعنى هذه الأرقام أن حالات تحطم الأسر بلغت ثلاثة وثلاثين فى المائة من حالات البناء ، وهى نسبة مروعة ولاشك . فالجيش الذى يفقد ثلثه فى الميدان يصبح عاجزاً عن القتال ، والأمة التى يتحطم ثلث بيوتها تغدو مهددة بالعجز عن الكفاح فى الحياة .

إن الطلاق معناه تحطيم أسرة ، ووراءه — فى معظم الحالات — تشريد أطفال ، وقد ورد فى التقرير الذى رفعه مدير مكتب الآداب الى معالى وزير الشؤون الاجتماعية عن المتشردين قوله : "أما الطلاق فواضح الأثر شديد الخطر الى حد بعيد فى تشرد الأحداث ، فالذى يلاحظ من حالات كثيرة مرت بنا أن يطلق الرجل زوجته وقد رزق منها بأطفال ، ثم يتزوج غيرها ولا يهتم بأطفاله ، أو أن ماهو فيه من حالة فقر وبؤس لا يمكنه من الإنفاق عليهم ، وتضطر الزوجة الى الزواج وتسرح أبناءها فلا يهتم بهم أب ولا أم . والنتيجة لذلك هى تشردهم . وللحرية المطلقة فى الطلاق خصوصا بين الطبقة العاملة والطبقة الفقيرة أثر اجتماعى بعيد الغور وإذا كان الحديث الشريف يقول : "إن أبغض الحلال عند الله الطلاق" فانى أعتقد أن فى الشريعة الإسلامية من القيود ما يدفع أو يقلل من هذه الأضرار" .

وقد اتجهت وزارة الشؤون الاجتماعية بالفعل إلى تقييد حق الطلاق بإيقاعه أمام القاضى حتى تفسح المجال أمام الزوجين للتروى وللصلح إذا أمكن الإصلاح ، وفى هذا ما يتفق مع النظام الإسلامى إذ يقول القرآن الكريم : "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" .

فالقاضى حين تعرض عليه حالة طلاق يستطيع أن ينفذ أمر القرآن بمحاولة الإصلاح على وجه قد يمنع من وقوع هذا الحلال البغيض عند الله .

وما من شك فى أن هذا الإجراء سيعالج كثيرا من الحالات التى تنشأ عن التسرع والغضب . ولكن المشكلة أعمق لأن منشأها هو إخلاص الحياة العائلية وانحلال الروابط الزوجية ولهذ أسباب متشابكة فى حاجة إلى علاج عميق .

لقد كان الطلاق فى كل عهد مباحا كما هو اليوم ، ولكنه كان عارا اجتماعيا تستحى منه الأسر الكريمة ، وكان هذا الحياء يمنع كثيرا من الأزواج أن يطلقوا ، كما يمنع كثيرات من الزوجات عن طلب الطلاق ، وكثيرا ما كانت هذه الحالة تنتهى إلى تراض بين الزوجين ولو من أجل "خاطر" الأولاد !

كان هذا يوم كان فى الوجوه حياء ! أى قبل أن يتعق الناعقون منا بالحرية المطلقة ومعناها فى عرفهم الإباحية ، وقبل أن نتجرد من تقاليدنا الشرقية الروحية لنتخذ الأمم المنحلة فى الغرب قدوة لنا وأسوة ، ولا نتخذ من الأمم المتينة الخلق فى الغرب نفسه هاديا ومرشدا .

كان هذا يوم كان فى الوجوه حياء ! فلم تكن المجلات الرخيصة تنشر فى أبرز صفحاتها أخبار الطلاق بين من تسميهم "الطبقة الراقية" وما هم إلا "الطبقة النافهة" وكان هذا الطلاق أمر عادى أو "مودة" من "المودات" التى يختص بها "أولاد الذوات" ومن يريدون التشبه "بأولاد الذوات" !

كان هذا يوم كان فى الوجوه حياء ! أى قبل أن نأخذ تقاليدنا من الأفلام السينمائية الداعرة التى تمثل الأوساط المنحلة ، وتتخذ من أخبار زواج الممثلات وطلاقهن مادة للإعلان عن الروايات ، فنحسب نحن فى سذاجة وغفلة أن الحياة كلها فى الغرب كذلك ، وأن علينا إذا شئنا التفرنج أن نحيا كهذه الحياة !

فلينا اليوم بخطوة أولى فى سبيل تنقية الأفكار والنفوس من هذه القذارة أن نراقب المجلات الرخيصة فنمنع من النشر أخبار الطلاق وأخبار الشقاق العائلى مهما تكن الأحوال .

وأن نراقب الإذاعة والمنولوجات فى الصالات وسواها فنمنع منها كل ما يصور الحياة الزوجية صورة مشوهة أو صورة داعرة بلا مبرر من الفن الإنسانى ، الذى قد يعرض هذه الشؤون عرضا إنسانيا رفيعا تباح معه المحظورات .

وعلينا أن نعنى فى تربية البنات المدرسية ببث روح الأسرة فى نفوسهن ، فإن مما يؤسف له أن تكون نعرة الحرية الشخصية فى صورة مشوهة هى التى تملأ رءوسهن الصغيرة باسم المساواة كما صورها لمن " هلافيت " الكتاب النافهين !

وعلينا أن نوقظ فى نفوس شبابنا بقدر المستطاع روح الجد والاهتمام ببناء الأسرة ، فلا ندعهم يفهمون أن الفلت من قيودها هو الطلاقة اللائقة بالرجال الحديثين !

وعلينا — فى الأوساط الشعبية — أن نقوم بدعاية دينية واسعة ضد الطلاق فى المساجد والمحافل والمجتمعات ، فإن هؤلاء الناس يتأثرون بالدعاية الدينية قبل كل شىء ، وليكن شعار الوعاظ : "إن أبغض الحلال عند الله الطلاق" .

وعلينا بعبارة واحدة : أن نطهر المنبع قبل المصب . فذلك أفضل علاج .

(٢)

فى خطاب العرش وعدت الحكومة بإنشاء مطاعم خاصة لطلاب الجامعات الثلاث ، وقد نوهنا فى العدد الفائت بما لهذا المشروع من قيمة فى حياة الطلاب .

وبعد ذلك تبين أن وزارة الشؤون الاجتماعية تضمر للطلبة أكبر مما أعلنت ، وتفكر لهم فى خير أكثر مما نفذت ، إذ هى تفكر فى " بيوت الطلبة " .

وقد سمعنا من قبل عن " حى الجامعة " ولكنه كان إحدى الأمنيات العذبة التى طالما مست قلوبنا وصاغ اسمها آذاننا بلا نتيجة محسوسة .

أما اليوم فلنا أن نؤمل خيرا لأن الوزير الذى يفكر فى هذا المشروع هو رجل أثبت أنه يعنى ما يقول ، وينوى ما يعلن عنه من المشروعات .

"بيوت الطلبة" ... إنه لحلم جميل يتحول إلى عمل جليل ، فآلاف الطلاب فى القاهرة وفى الاسكندرية يعيشون بعيدين عن أهلهم شبه مشردين ، وبعضهم يأوى الى أحياء قذرة فى شكلها وفى بيئتها ، وبعضهم يأوى الى أوساط مفسودة فى مظاهرها ودخائلها ، وجميعهم لا يجد الراحة الضرورية للتعلم والتحصيل .

وهؤلاء المشردون فى أيام الدراسة هم رجال الغد ، بينما أخلاقهم وأذواقهم تتكون فى هذه البيئات أكثر مما تتكون فى المدرسة والجامعة بحكم التعامل والتقليد والحياة .

على أن وجود أحياء للطلبة لن يعصمهم فحسب من هذه الحياة المشوشة التى يحيونها فى أوساط لا تساعدهم على النشأة الطيبة والمعيشة المريحة ، بل سيخلق بيئة علمية وجوا خاصا ، يساعدان على تكوينهم عقليا واجتماعيا تكوينا صالحا .

فعسى ألا تقوم العوائق المالية فى طريق هـذا المشروع الجليل ، وإن فيه لمتسعا لمن يريد التبرع بالمساهمة فى تكاليف المشروع ، إذا أعد المسئولون بيانات واضحة عن تكاليفه وعما يطلب من الموسرين المساهمة به ، وليس أدعى إلى الحماسة فى التبرعات من وضوح القصد وتحديد الأهداف .

(٣)

فى العدد الماضى من هذه المجلة تحدثنا عن " إصلاح السجون " وقد ألفت لجنة لهذا الغرض برياسة معالى وزير الشؤون الاجتماعية المتحمس لهذا الإصلاح ، المتقزز من الأوضاع الحاضرة وتخلفها عن روح العصر الحديث .

ومما يدل على اتجاه هذه اللجنة ما قررته من أن وظيفة " السجان " من أهم الوظائف فى السجون وأنه ينبغى أن يعين لها أشخاص نالوا نصيبا من الثقافة والتهذيب ، ولذلك قررت قصر وظائف السجانين على من يحملون شهادة مدرسة الخدمة الاجتماعية .

وإنه لقرار بديع ، وإن بعضهم ليرى فى الانتقال من الجندى الجاهل الجافى إلى المتخصص فى الخدمة الاجتماعية طفرة كبيرة ، ولكنها طفرة واجبة تلاحق بها خطوات العصر الحديث ، ونكفر بها عن التخلف الطويل .

لقد كانت الجملة المكتوبة على باب السجون : " السجن تأديب وتهذيب وإصلاح " هى أكذب جملة كما يقول معالى الوزير فى حديث له . فكل ما قررته اللجنة إنما هو جعل هذه الجملة صادقة وتحويلها إلى نص صحيح .

وفى سجون العالم المتمدين توجد " عيادة بسيكلوجية " للفحص عن حالات المسجونين ونفسياتهم وظروف إجرامهم ، ولعلاجهم كلما أمكن العلاج . وعن هذه العيادة تصدر تقريرات فى غاية الأهمية عن الجريمة والمجرمين ينتفع بها المشرعون وعلماء الإجرام وعلماء النفس والروائيون .

وعليها تعتمد إدارة السجن فى " تصنيف " المجرمين واختيار نوع معاملتهم وطريقة علاجهم حتى لا يرتدوا الى المجتمع كما جاءوا منه مجرمين .

فما تشير به لجنة إصلاح السجون إنما هو خطوة أولية فى طريق الاصلاح تقابل بالترحيب وتشير إلى معالم الطريق .

(٤)

نشرت جريدة البلاغ أن رئيس جمعية مكافحة الدرن، قابل معالى وزير الشؤون الاجتماعية وطلب اليه تخصيص مئتى جنيه من أموال صندوق إعانات العمال لمعالجة مائة عامل أصيبوا بالدرن ، فأمر الوزير لهذا الغرض بألفى جنيه لأنه رأى أن مبلغ المائتين لا يكفى للعلاج وللانفاق على عائلات هؤلاء المرضى ، وكانت نظرة الوزير شاملة للعمال ولأسرهم التى حرمت من الكسب بمرض عائليها .

وهو خبر نضيفه الى الأخبار الكثيرة عن عطف وزير الشؤون على العمال ، هذا العطف الذى ظهر فى مناسبات كثيرة أصدقها أثرا تلك القوانين التى قدمها فى الدورة الماضية وفى هذه الدورة الى البرلمان .

وفى هذا الخبر الجديد النفاتة جميلة هى العناية بأسرة العامل المصاب ولاسيما من يصاب منهم بهذا المرض الفظيع المعطل للجهد المنطلب للراحة حتى بعد الشفاء .

إن كثيرين من العمال يقضى عليهم هذا الداء لأنهم يضطرون معه للعمل ضمانا لقوت عيالهم ونسائهم وحفظا لهم من التشرد المهين . فاذا شفوا عادوا مسرعين الى أعمالهم لهذا السبب فيعود عليهم الداء الوبيل ، عدو العمل والجهاد .

فمضاعفة المبلغ عشرة أضعاف لفتة إنسانية كريمة ونظرة اجتماعية واسعة تستحق الشكر.

إنى لأعجب من قول غررت به ... حلو يمد إليه السمع والبصر
لو تسمع العصم من شم الجبال به ... ظلت من الرابيات العصم تنحدر
كالخمر، والشهد يجرى فوق ظاهره ... وما لباطنه طعم ولا خبر
وكالسراب شبيها بالغدير وإن ... تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لا ينبت العشب عن برق وراعدة ... غراء ليس له سيل ولا مطر

الاحتفال بالعام الهجرى

مظهر من مظاهر اليقظة القومية

عيد الهجرة عيد إسلامى عام لما يرتبط به من ذكريات إسلامية عامة ، ولكن له فى مصر سمة أخرى يضاف بها إلى الأعياد القومية للبلاد . نقد تيقظنا للاحتفال به يوم تيقظنا لقوميتنا ، وقد وجدناه يوم وجدنا أنفسنا ، وميزناه من بين أيام السنة يوم ميزنا شعائرنا الوطنية من بين شعائر الآخرين .

كان الأجانب النازلون فى مصر يحتفلون — على مرأى منا — كل عام برأس السنة الميلادية فيملأون اليوم وليله حياة وبهجة وصخبا ، وكان الكثيرون منا ينسون أنفسهم ووطنهم وقوميتهم ، ويدوسون شخصيتهم وتقاليدهم وشعائرهم ، فيحيون اليوم الذى لا يتصل بهم فى قليل ولا كثير ، مندغمين ضائعين فى غمار الأجانب المحتفلين بعيدهم الكبير .

فلما تيقظ الشعور القومى والاحترام الذاتى ، تيقظ كذلك فريق من الشباب المصرى للاحتفال بأول السنة الهجرية ، وأجمعوا أمرهم على الإضراب عن الدراسة فى هذا اليوم ، وظلوا يضربون حتى جاء الوزير المصرى القومى "سعد زغلول" فقرر عطلة المدارس فى هذا العيد .

ولما بلغت القومية المصرية أوجها ، وبلغ الاستقلال محله أعلن اليوم عيدا عاما تعطل فيه المصالح جميعا ، وتحتفل به الحكومة والشعب ، وتتبادل فيه التهنئات ... فأصبح بسبب هذه الملابسات التاريخية يجمع إلى صفته الدينية العامة صفة قومية خاصة بنا نحن المصريين لا يستقل بها المسلمون دون الآخرين من أهل البلاد .

على أنه فى خصوصيته هذه يرمز إلى مصر القومية ومصر الاسلامية ، المتيقظة لنفسها المحبة للأعياد الاسلامية تشترك فيها مع سائر المسلمين ، وما انتبهت مصر إلى مركزها فى العالم الإسلامى وإلى تقوية الروابط بينها وبين هذا العالم ، إلا بعد أن انتبهت لقوميتها ، وقوت مركزها الوطنى .

ومن هذا يتبين النهج الذى يجب أن تنهجه الأمم الاسلامية فى تجمعها ... أن توقظ الشعور القومى فى حياتها ، وأن تقوى شخصيتها الخاصة ، ثم تلتقى جميعها بعد ذلك ، قوميات متيقظة تربطها مصالح واحدة واتجاهات متقاربة . وذلك هو الوضع العملى الصحيح .

ونعود إلى عيد الهجرة فنرى الاحتفال به فى هذا العام واسع النطاق يشمل عدا تعطيل المصالح وتبادل التهانئ ، احتفالا يحضره صاحب الجلالة الملك ويخطب فيه فضيلة الشيخ الأكبر فى أعظم مساجد القاهرة وحفلة كبرى يخطب فيها رفعة رئيس الوزراء ، ويدعى اليها الكبراء والعظماء وممثلو البلاد العربية ؛ ونرى العيد يحتفل به فى مسجد كبير بالعاصمة بصلاة الفجر والاستماع إلى آى القرآن الكريم وإلى كلمة عن ذكرى الهجرة تذاع من المحطة اللاسلكية ؛ ويعم الاحتفال فى سائر عواصم المحافظات والمديريات والمراكز والقرى ؛ وتعزف الموسيقات فى الميادين العامة والمتنزهات فى جميع المدائن .

وهكذا يشعر الناس فى كل مكان بهذا العيد الاسلامى العام والقومى الخاص فيجدون فيه روحهم الإسلامية وروحهم القومية فى آن ؛ ويعلمون أن تيقظ هذه لا يعارض تيقظ تلك ؛ ويجد الشرقيون بوجه عام أن لهم عيدا يقابلون به عيد الغرب فى رأس العام الميلادى... وهذا ولا شك عمل جليل .

بقى أن جماعة من المتطرفين ، وجماعة من المقلدين ، وجماعة من المتنكرين للقومية وللدين ، لا يزالون يحتفلون بلا حياء ولا خجل بالأعياد الغربية ، فيقيمون فى بيوتهم السهرات ويقضون الليالى فى سكر وعربدة دون أن يسألوا أنفسهم : ما شأنهم بهذه الأعياد التى يحتفلون بها ، وما هى منهم ولا هم منها ؟ ودون أن يشعروا أنهم متطفلون على أعياد غيرهم ، متحكمون فى سواهم من النزلاء الذين لا يتحكمون بهم فى أعيادهم ، وأنهم متنازلون عن قوميتهم وشخصيتهم ، لمجرد أن يقال : أنهم "مودرن" ! ! !

وهؤلاء فى الغالب لا يقرأون الصحف المصرية فلن تصل اليهم أصواتنا فى هذه المجلة ولا فى سواها من الصحف المصرية ، إذ أن حضراتهم فى الغالب يحتقرون كل ما هو مصرى ، ويزدرون كل ما هو قومى حتى ألسنتهم لا تلوك إلا ألفاظا أجنبية ، فإذا سمعوا متحدثا بينهم باللغة المصرية تأففوا وتأذوا وإن كانوا مصريين بحكم الجنسية !

فهؤلاء إذن لن نطمع فى نصحهم ليقلعوا عن هذا التحكك السخيف بالغربيين ، ولن نطمع فى إثارة حميتهم أو قوميتهم أو إنسانيتهم ، ولن نطمع فى اهتمامهم بما تهتم به البلاد جميعها فى عيد الهجرة ، وعلى رأسها جلالة الملك وفى مقدمتها رئيس الوزراء .

ولكننا نوجه القول إلى المصريين الذين يقرأون الصحف العربية ويتكلمون اللغة العربية فندعوهم إلى احتقار كل من لا يحفل بما يحفلون ، أو يتنكر قوميته ويتحكك بالآخرين . والاحتقار الصامت كثيرا ما يهدى الضالين ويرجع الآبقين !

حاجتنا الى التنظيم الاقتصادى فى السلم والحرب

لحضرة صاحب السعادة عبد القادر الجمال باشا

من البديهى أنه لا يسعنا فى بحث قصير كهذا أن نلم بكل ما قيل أو كتب فى نظام الاقتصاد المسير، فهو من أعوص المسائل التى تشغل جميع الأذهان فى وقتنا الحاضر، ولا أن ندرس مشكلة مدى تدخل السلطات العامة فى تنظيم الشؤون الاقتصادية دراسة وافية، لمعرفة ما يؤديه هذا من رخاء ويسر للبلاد . ولكننا نبادر ونجزم بأن نظام الحرية الاقتصادية آخذ فى الانهيار رويدا رويدا تحت عبء الظروف الحاضرة ، وأنه قد يكون من المصلحة لنا أن نعجل فى انهياره، حتى يحل محله نظام جديد يبنى على أساس علمى فنى أوفى بالغرض ، فبنيان الحضارة الاقتصادى يزداد تصدعا يوما بعد آخر ، ومن العبث أن نحاول تدعيم ما قضى عليه بالزوال. "فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ". فيجب على قادة البلاد أن ينعموا النظر فى الاتجاهات الاقتصادية الحديثة ويميزوا بين غثها وسمينها، وأن يتعرفوا السبب فى انهيار النظام الاقتصادى القديم. فالعالم ينتج اليوم أكثر مما يستهلكه، سواء أكان ذلك فى المواد الأولية أو المنتجات الصناعية. ولكننا رغما عن هذا نرى الضيق يحيق بالغالبية الكبرى منه ، وقد تدخلت فعلا أكثر حكومات العالم لاعتبارات عامة أو محلية، أهمها هبوط أسعار محاصيل بلادها منذ الأزمة الاقتصادية العامة فى سنة ١٩٢٩ وما بعدها ، ونقصان مقدرة المستهلك على الشراء . ويقول أنصار الاقتصاد المسير إنه رغما عن نجاح الانتاج فيما مضى تحت نظام الحرية الاقتصادية، فقد كان هذا النجاح سببا قويا من أسباب سوء توزيع الثروة فى الدولة، وتفاوت ايراد الأفراد فيها تفاوتا عظيما . فتألفت شركات كبرى احتكرت أهم موارد الأمة وقتلت حرية المنافسة، وزادت حال بعض طبقات الأمة سوءا وبالأخص ساءت حالة الطبقات الزراعية ، وما سبب ذلك إلا سوء نظام الرأسمالية الذى أدى بأغلبية الأمة الى العبودية الاقتصادية . ومن جهة أخرى فقد حصل أن الانتاج الزراعى والصناعى لم يزدادا جنبا الى جنب بنسبة واحدة، فصارت أزمات شديدة الوطأة طويلة الأجل تعقب كل فترات انتاج عظيمة ، مما زاد فى عدد العاطلين وأرهق طبقات العمال. وأنه مهما يكن لتطبيق قانون العرض والطلب من فائدة إلا أنه قانون قاس شديد الوطأة ويكون من مصلحة البلاد أن تتبع قوانين أخرى أقل صلاحية منه ولكنها أرحم بالناس وأشفق ، وأنه على كل حال فقد قضت الحرب العظمى الماضية على النظام الحر قضاء مبرما لما ظهر عجز هذا النظام عن القيام بالأعباء الجديدة

التى تطلبتها الظروف التى نشأت بعد الحرب وأنه إذا كان الكثير من النظم الجديدة التى تتبع الآن لم تأت بالفائدة المرجوة منها ولم ينجح النجاح المنتظر ، فما ذلك لعيب فيها بل لانها لم تستكمل بعد كل نظمها ، ولن تصل الى درجة الكمال إلا بعد تجارب عدة وإصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء ، ولا يمكننا فى مصر أن نأخذ بكل المبادئ الاقتصادية التى يقول بها علماء الغرب ؛ لتباين الظروف هناك حيث الصناعة متقدمة كما فى انكلترا ، والأموال متدفقة كما فى الولايات المتحدة . والعلم والنظام كبير كما فى البلاد الأوربية . بل يجب علينا أن نأخذ منها قسطا يلائم حالة البلاد عندنا

وقد ثقل على الدول الزراعية استغلال الدول الصناعية لمركزها ، وطال أمره فأخذت الدول الزراعية فى اتباع نظام الاستكفاء الذاتى ما استطاعت لذلك سبيلا فأحيت الصناعة فيها تخفيفا لحدة الأزمة ولا يمكننا الآن بأية حال الرجوع إلى الحالة التى كان عليها العالم قبل الحرب الماضية ، كما ينصح به فريق من الاقتصاديين المغرضين لصالح بلادهم ، فالصناعات الناشئة أصبحت ذات حق مكتسب وتلزمها الحماية الجمركية إلى حد ما حتى يمكنها أن تنمو وتزدهر وتقاوم المنافسة الأجنبية بنجاح . غير أنه يجب الحذر الشديد من المغالاة فى هذه الحماية إلى حد يرهق المستهلكين فيها أكثر مما تستوجبه الحالة ، وإلا فات عليها الغرض السامى من انشائها وتشجيعها وأصبحت أداة فقر للمستهلك لصالح فئة من حملة أسهم المنشآت الصناعية .

وقد رأينا أحد كبار رجالنا الاقتصاديين يقف منذ بضعة أيام وينادى فى مجتمع عام بضرورة الرجوع إلى سياسة الحرية الاقتصادية حتى يتم التعاون بين الدول على أساس متين . وكم نادى قبله رجال بهذا الغرض السامى الذى لا يمكن تحقيقه مادامت الطبيعة البشرية فى العالم أجمع هي كما هى .

أنتقل الآن من الكلام فى النظريات العامة إلى الحديث عن بلادنا فقد فاجأتنا الحرب الحالية — حكومة وشعبا — لم نكن نتوقعها ، وأكثر القول بانها فاجأتنا ونحن أقل ما نكون استعدادا لها رغم الانذارات العديدة التى كانت ظاهرة للعيان ورغم جميع البوادر التى سبقت اعلانها بوقت كاف لنا لو أخذنا للأمر حيطته . ولكننا لم نحفل لهذه الأدلة ولم نعطها ما كانت جديرة به من اهتمام عظيم ، وكانت أكثر الدول تحتاط مقدما لها أمام أعيننا . فترتب على ذلك أن قاست البلاد من الوجهة الاقتصادية ولاتزال تقاسى آلاما شديدة من جراء هذا الاهمال ، فالنقد لا يزال ولا رواج يجابه به يخفف من حدته ، وقد عجزت الحكومات السابقة عن مكافحته إلى الآن ، وقل أو انقطع استيراد المواد الضرورية للزراعة وعليها حياة البلاد ويسرها . وكان فى مقدورنا استيراد كميات عظيمة من هذه المواد — كالسماد مثلا — تكفى البلاد سنين عدة فنختزنها استعدادا للطوارئ قبل نشوب الحرب ، بل وبعد نشوبها بعدة أشهر لو أخذنا للأمر حيطته .

وأمامنا أزمة تموين البلاد فى غذائها الأساسى وما لاقى الناس فى سبيل الحصول عليه من متاعب جمة ، وقد كان ميسورا لنا أن نتلافى الشىء الكثير من شدتها لو نظرنا اليها فى الوقت المناسب منذ ابتداء الحرب ، ولكننا أهملنا شأنها حتى تفاقمت وكادت تودى بالبلاد إلى التهلكة لولا أن قيض الله لها وزارة الشعب .

وزيادة على ذلك لم تفد مصر من هذه الحرب ما كان يرجى لها وما كانت ظروفها تهيؤها لها من نفع مادى عظيم نظرا لموقعها الجغرافى .

ولعل أهم الأسباب التى أدت إلى هذه الحالة غير المرضية هو عدم وجود هيئة فنية خاصة بتنظيم شؤون البلاد الاقتصادية لدينا — هيئة فنية دائمة لا تكلف بعمل آخر خلاف ذلك — هيئة مستقلة يرأسها وزير دولة ، أما تأليف لجان أعضاؤها من موظفى الحكومة فلا يرجى منه فائدة مطلقا ، لأن كبار موظفى الدولة مرهقون بالعمل فى وزاراتهم ومصالحهم المختلفة ، ومرهقون بكثرة اللجان الحكومية وقلة انتاجها ، حتى صار من المعروف بأنه إذا كون أولو الأمر لجنة لدراسة موضوع كان فى ذلك القضاء على هذا المشروع و بقائه معلقا الى يوم الحشر ، وكذلك لا أرى فائدة من وجود المجلس الاقتصادى الأعلى للدولة ، فهو هيئة استشارية لا تجتمع إلا إذا دعاه وزير المالية ، ولا تدرس إلا ما يعهد به الوزير اليها من شؤون ، ولا يجتمع هذا المجلس الموقر إلا مرة أو اثنتين فى السنة ، بل وأقل من ذلك فى أغلب السنين ، فوجوده كعدمه ولا خير يرجى منه للبلاد ، وقد أخذت وزارة المالية رغم ما هى مرهقة به من العمل تبعة توجيه البلاد الاقتصادى فزادت بذلك تبعتها من فرض الضرائب وتحصيلها والقيام بمهام ميزانية الدولة ، وكان الواجب أن يكون لدينا وزارة للاقتصاد القومى منفصلة تمام الانفصال عن وزارة المالية ، لا عمل لها إلا توجيه البلاد اقتصاديا أحسن توجيه ودارسة حال البلد من هذه الوجهة والعمل على تشجيع الانتاج وتنويعه ، حتى تصل مصر إلى أقصى درجة من الاستكفاء الذاتى ، ولاسيما وأن جميع دول العالم المتمدين قد أخذت بهذا التقسيم لما رأته فيه من نفع عام . فلو فعلنا ذلك منذ سنين لما قاسينا ما نقاسيه الآن من مصاعب جمة لا قبل لنا بها فى سبيل تموين البلاد إبان هذه الحرب الطاحنة .

من كل هذا تتضح حاجتنا الماسة إلى وزارة للاقتصاد الوطنى — حاجتنا اليها ليس إبان الحرب فقط بل نحن أشد ما نكون حاجة اليها قبل الحرب و بعد الحرب أى فى أيام السلم — ولعل حاجتنا الى هذه الوزارة أيام السلم أشد من حاجاتنا اليها مدة قيام الحرب ، إذ يجب على وزارة الاقتصاد القومى أن تعمل حتى تصل البلاد الى درجة عظمى من الاستكفاء الذاتى . فاذا ما وصلت الى هذه الدرجة المرغوبة منه صار من السهل عليها أن

تتحمل نتائج انقطاع الواردات الخارجية عنها زمنا ما بسبب حرب أو لأى سبب آخر ، فقد انقضى عهد الحرية التجارية ولن يعود بعد اليوم مهما كانت نتيجة الحرب الحالية وابتدأ العالم أجمع يتجه اتجاها مخالفا لما كان يسير عليه قبل الحرب العظمى الماضية ، فأنصار التنظيم الاقتصادى الان صارت لهم الكلمة العليا فى إدارة الشؤون الاقتصادية فى كل الدول تقريبا ، ونبذ العالم مبادئ الحرية التجارية لما رأوه فيها من شدة وقسوة على الفرد فى أيام السلم ومن عجز وقصور عن القيام بحاجة الأمة إبان الحرب . وما دامت أكثر دول العالم قد اتجهت هذا الاتجاه ووضعت العراقيل أمام الواردات اليها من الخارج ، وأنشأت نظام الحصص وزادت من الحواجز الجمركية فى بلادها دفاعا عن صناعتها وزراعتها وتشجيعا لصناعتها الناشئة وحفظا لها من المضاربة الخارجية حتى تقوى وتترعرع ، ويقوم بسد حاجة بلادها من المصنوعات فيتحتم علينا فى مصر أن نتجه هذا الاتجاه ، وأن نقتفى أثر هذه الدول و إلا أصابنا ضرر كبير إذا لم نفعل مثلها . وأمامنا مثل بريطانيا العظمى وهى مهد الحرية التجارية وأكبر مدافع عنها نراها قد عدلت عن خطتها السابقة ، وتحولت الى مبادئ التدخل والتنظيم الاقتصادي ، فكلما أسرعنا فى مصر فى التحول نحو هذه السياسة كلما كان ذلك أجدى لنا وأنفع لصالحنا .

ولقد يعترض البعض على فكرة إنشاء وزارة خاصة بالاقتصاد الوطنى قائلين إن فى وجود وزارة التجارة والصناعة ما يغنينا عن إنشاء وزارة أخرى للاقتصاد ويكفى أن تضم إليها المسائل الاقتصادية التى هى الآن من اختصاص وزارة المالية حتى تكون وزارة التجارة والصناعة نواة صالحة لما تدعو إليه من إنشاء وزارة للاقتصاد الوطنى ويكون فى ذلك وفر فى المال مع القيام بنفس العمل . ويمكننا الرد على هذا الاعتراض بأن عمل وزارة التجارة والصناعة ينحصر فى تنظيم العمل فى داخل القطر من جهات لا دخل لها بالاقتصاد الوطنى العام ، فوزارة التجارة تضم مثلا مكتب العمل ولا دخل للتنظيم الاقتصادى فيه ، وتضم إدارة التشريع التجارى والسجل التجارى وغيرها من المصالح التى تعنى بمسائل معينة لتنظيم طرق التجارة والصناعة ، ولكن هذه الوزارة لا دخل لها ولا سيطرة لها على المبادئ العامة للتنظيم الاقتصادى الواجب إدخاله على الإدارة الحكومية ، فتحديد مساحة القطن مثلا أو القمح الواجب زرعه فى البلاد مع بيان نوعه تمشيا مع مصلحة البلد الاقتصادية والزراعية ، مما يجب أن يكون من اختصاص وزارة الاقتصاد الوطنى ، وليس من اختصاص وزارة الزراعة لأن هذه الأخيرة (أى وزارة الزراعة) هى وزارة فنية وليست اقتصادية ، كذلك مثلا تنمية الثروة الحيوانية فى البلاد حتى تسد حاجاتها منها بل وتصدر من منتجاتها للخارج ، هى مسألة اقتصادية ولا شأن لوزارة الزراعة بها إلا ما يخصها من العناية بالوجهة الفنية من نفس تربية الحيوان ، وكذلك استخراج الكهرباء من خزان أسوان ، وبالتالى عمل مصانع للسماد الصناعى منها يكون

من اختصاص وزارة الاقتصاد الوطنى وليس من اختصاص وزارة الأشغال ، التى يقتصر إشرافها عليه على بناء المصنع الذى يستخرج الكهرباء من الخزان ، وكذلك سياستنا الجمركية على تشعبها وتطورها يجب ألا يكون لوزارة المالية شأن بها بل تكون من اختصاص وزارة الاقتصاد ، فقد أصبحت السياسة الجمركية فى كل بلد من أهم ما يعنى به نظرا لاتصال هذه السياسة بحياة البلد الاقتصادية من كل الوجوه . فوزارة الاقتصاد الوطنى التى أدعو إليها تعنى بالسياسة الاقتصادية العامة للبلد من كل نواحيها المادية وترسم الخطط لرقى البلد وتقدمه المادى لسنين عدة مستقبلا ، حتى تصل بالبلاد إلى درجة عظيمة متقدمة من الاستكفاء الذاتى ، ونحتاط لكل الطوارئ التى ينتظر وقوعها ونأخذ العدة مقدما لذلك وننهض بالصناعة والزراعة نهضة اقتصادية موفقة تتمشى والاتجاه العالمى فى هذه المسائل ، فلا تنفرد مصر بالتأخر عن الممالك الأخرى فى هذا السبيل .

فلعل حسن التوفيق يلازمنا ونبدأ بإنشاء هـذه الوزارة فى أسرع وقت مستطاع فقد تأخرنا فى ذلك كثيرا .

عبد القادر الجمال

من حكم على ابن أبى طالب

— سوسوا أيمانكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء .

— العلم خير من المال ، فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، وصنيع المال يزول بزواله . معرفة العلم دين يدان به ، منه يكسب الانسان الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

ميادين النشاط الشاغرة

والشبان المتعطلون

بينما كان عشرات بل مئات بل ألوف من الشبان المصريين يطوفون بالوزارات والمصالح وفى أيديهم بطاقات التوصية أو الشهادات الدراسية التى انفقوا العمر فى تحصيلها، وهم يستجدون وظيفة كتابية فى الدرجة الثامنة أو وظيفة فنية فى الدرجة السادسة على أكثر تقدير ...

بينما كان هؤلاء العشرات والمئات والألوف يقومون بهذا المطاف ... كان هناك عشرات بل مئات بل ألوف ممن لا يحملون بطاقات التوصية وربما لا يحملون شهادة دراسية، يقتحمون ميادين النشاط الكثيرة التى فتحتها هذه الحرب على مصراعيها فى وادى النيل والبلاد القريبة الأخرى، ويصبحون بين عشية وضحاها من أصحاب رءوس الأموال، ويكسبون فى اليوم الواحد ما تدره الوظيفة على شبابنا الموظف فى عام !

فيا للفرصة الضائعة، بل يا للذكاء الضائع، بل يا للرجولة الضائعة !

إن الجرى وراء الوظيفة الحكومية — ولا سيما فى مثل هذه الظروف — لعنة من لعنات القدر، ولكن المسئول عنها ليس الشباب وحده، فالشباب يرزح تحت أثقال من الوراثة والبيئة والتربية الناقصة فى البيت والمدرسة والمجتمع على السواء.

وليس من العدل أن نلوم الشاب وحده حين يتسكع على أبواب الوزارات والمصالح، بينما الآخرون يجمعون الثروة ويدركون الفرص السانحة. فقد نشأ هذا الشاب فى بيت لا يوجه آماله إلا للوظيفة ولا يتحدث إلا عن إتمام دراسته لينال الوظيفة؛ وقد تربى فى مدرسة لا تعرف لها هدفا تتجه إليه بتلابيبها سوى الوظيفة، ولا تبث فى نفوسهم إلا حب الوظيفة، وقد خرج إلى مجتمع لا يحترم إلا صاحب الوظيفة، ولا يأمن فى المعاملة إلا لصاحب الوظيفة، ولا يزوج بناته إلا للموظف ... فالبيت والمدرسة والمجتمع عبيد للوظيفة فى هذه البلاد.

لو وجد هذا الشاب توجيها فى منزله إلى العمل الحر وقدوة ناجحة من أهله فى هذا العمل؛ ولو وجد فى المدرسة من يربى فيه شخصية قوية مغامرة متفتحة البصيرة؛ ولو وجد فى المجتمع تقديرا للمغامرة فى الميادين الحرة واحتراما للعاملين الأحرار ... لو وجد شيئا

من هذا النشأ نشأة أخرى ، يجارى بها الشباب الأجنبى فى داخل هـذه البلاد ، ولانتهز الفرص السانحة التى تكفل الثروة فى أقصر الأوقات .

عشرات بل مئات بل ألوف أثروا من هذه الحرب ثراء سريعا ، أولئك الذين اشتغلوا بعشرات من المغامرات والأعمال المباحة بسبب الظروف الطارئة ، كتأجير البيوت المفروشة ، وافتتاح المطاعم والمشارب والمتاجر الصغيرة للعاديات وسواها ، وبيع الخضر والفاكهة ، ومقاولات النقل والتغذية وتوريد مختلف المواد للقوات العسكرية ... إلى آخر هذه الأعمال .

وقد كسب بعضهم من عمل صغير مبالغ لاتخطر لشاب مصرى على بال ، استأجر بعضهم عمارة بأربعة آلاف جنيه فى العام ثم أجرها بأربعين الفا ... واستأجر أحدهم منزلا بأربعة وعشرين جنيها فى الشهر ثم أجره مفروشا بمائتين وأربعين ... وفتح أحدهم مطعما كلفه ألفا وسبعمائة من الجنيهات وهو يكسب فى اليوم الواحد مائة جنيه كاملة ... وفتح أحدهم متجرا صغيرا للفاكهة والخضر كلفه ثلاثين جنيها فقط وهو يكسب فى اليوم الواحد جنيهين اثنين... لا بل إن بعضهم عجز عن افتتاح متجر فهو يملأ عربة يد بالخضر ثم يبيعها لأحد المعسكرات بمكسب جنيه فى العربة ...

مكاسب ! مكاسب ! هذه هى الكلمة التى تمتلئ بها أفواه وجيوب عشرات بل مئات بل ألوف من مختلفى الأجناس القاطنين فى مصر ، ويخرج الشبان المصريون منها صفر اليدين لأنهم عمى أو كالعمى عن الوسائل الميسورة للجميع !

أيدرى هؤلاء الشبان المساكين كيف يغتنى الآخرون ؟ إنهم يغتنون لأنهم يبتكرون ، وقد تكون ابتكارات تافهة ، ولكنها تأتى فى حينها ، فيجنى أصحابها ثمن الابتكار والتوفيق .

وليسمع شبابنا المساكين بعض الأمثال :

فى السوق "شاى وكاكاو وزهرة تحمل اسما خاصا" أيعرفون من صاحب هذا الابتكار ؟ إنه رجل متمصر اهتدى إلى ابتكار صغير لطيف : هو أن يشترى صندوق الشاى أو الكاكاو أو مسحوق الزهرة ، ثم يقسمه إلى علب صغيرة ويلصق على كل علبة ماركة خاصة ثم يبيع هذه العلب الصغيرة بسعر مربح ، ويعلن عن بضاعته فى أسلوب جيد ، ويتولى توزيعها بهمة طيبة ، ثم يصبح بعد فترة وجيزة من الاغنياء .

ثم ليسمع شبابنا المساكين بعض الأمثال :

ترد على مصر الآن ملايين من علب البيرة الأمريكية الصفيح ، يشرب ما فيها ثم تلقى ويتركها الشاربون ، أيدرى شبابنا أين تذهب هذه العلب الفارغة ؟ يجمعها أناس وهبهم الله

البصيرة بسعر مليم لكل علبة ، ثم يبيعونها فى الأرياف بسعر خمسة مليمات لتعمل منها كيزان الماء المعروفة فى الأرياف وذلك بسبب غلاء الصفيح . واضرب مليونا واحدا فى أربعة مليمات ينتج لك أربعة آلاف جنيه فى مثل هذه الصفقات .

ثم ليسمع شباننا المساكين بعض الأمثال :

فى مصر وفى بلدان الشرق كافة شىء يسمى "مكاتب التوكيلات" أفيدرى شباننا المصريون شيئا عن هذه التوكيلات ؟ إنها مكاتب لا يزيد الواحد منها عن حجرة أو حجرتين فى إحدى البنايات بداخلها شاب أو بضعة شبان من الأجانب "ولا شك" قد تعاقدوا مع بعض المصانع فى أوربا وأمريكا على أن يكونوا هم الوسطاء فيما يباع من إنتاج هذه المصانع فى بلد أو أكثر من بلاد الشرق ، فكلما تمت صفقة بوساطتهم كان لهم نصيب معلوم ؛ وبهذا النصيب قد يصل فى كل عام إلى عشرات الألوف بل مئات الألوف من الجنيهات .

مصر غنية غنية ، فائضة بالثروة والغنى ، ولكن لمن يعرفون كيف يقتنصون هذه الثروات ولسوء الحظ أننا لا نهيىء شباننا لهذا الاقتناص ، فهم فى شغل شاغل بالحصول على بطاقات التوصية يطوفون بها على الوزارات والمصالح والشركات أيضا ، قانعين بالمرتب التافه الضئيل ، بعد الكد المضنى والتعب الطويل .

* * *

ولقد يفهم بعضهم من حديثنا عن ظروف الحرب والثروات المفاجئة فيها أن هذه الظروف وحدها هى التى تسنح بهذه الفرص ، وأنها قصيرة الأجل ، أما الواقع فغير ما يفهمون ، الواقع أن الفرصة سانحة فى كل وقت ، وأن ميادين النشاط شاغرة باستمرار تنتظر الجرأة والابتكار والشخصية . واليهم بعض الأمثال :

١ — هناك الصناعات الزراعية وأولها منتجات الألبان ، وإنى لأستفظع من كل متخرج فى كلية الزراعة وفى الزراعة المتوسطة أن يلجأ الى الوظيفة ؛ وأمامه منجم الذهب فى منتجات الألبان وغير الألبان .

هذا اللبن الذى يباع فى مصر بأبخس الأثمان ، وفى استطاعة هؤلاء المتخصصين أن يصنعوا منه أصنافا غالية من الجبن وكميات كبيرة من الزبد بطرق فنية تدر عليهم أعظم الأرباح .

ثم تربية الماشية والطيور وعمليات التفريخ والتلقيح والتهجين فى الحيوان والنبات ... هذه الكنوز التى تضع الطبيعة والبيئة مفاتيحها فى أيديهم فيلقون بها فى بطر وغفلة ليبحثوا عن الوظائف ذات المرتب التافه المحدود .

ثم الزهريات وصناعة الروائح والعطور . وفى مصر من ينتج له الفدان الواحد من الأزهار خمسة وعشرين جنيها فى الشهر مرتب موظف فى الدرجة الخامسة .

٢ — وهناك مصايد السمك والإسفنج وقد كان يتولاها جماعة من الإيطاليين فى الغالب تخلوا عنها الآن بحكم الظروف ، ومجموع ما كانوا يربحونه منها لا يقل عن نصف مليون من الجنيهات فى العام . فما فائدة أن تكون عندنا كلية للعلوم إذا لم يستغل أبناؤها هذه الكنوز الذهبية للربح والإثراء ؟

٣ — وهناك المناجم للفوسفات والمنجنيز وللبترول كذلك وهى تدر مئات الألوف من الجنيهات فى العام ، تذهب جميعها الى غير المصريين من أصحاب المغامرة والجرأة والابتكار .

٤ — وهناك النقل النيلى وتشتغل به شركات أجنبية فى غفلة عن الشباب المصرى المشغول بالبحث عن الوظائف التافهة ، و" لانش " واحد لا يتجاوز ثمنه ثمن سيارة فاخرة يذهب بها أحد " أبناء الذوات " الى الديوان ، قد يدرّ على صاحبه ألف جنيه فى العام !

وهناك عشرات بل مئات من وسائل الكسب الضخم السريع ، وفيها ما لا يكلف رأس مال يعجز عنه الكثيرون من الشبان ، ولكنه يكلف جهدا وإقداما ومغامرة لم يألفها الشباب المصرى ولم يزود فى البيت ولا المدرسة بشىء من أدواتها الضرورية .

وقد ضربت المثل مرة بمشارب اللبن فى العاصمة ، اللبن الذى تنتجه البلاد وتبيعه بأبخس الأثمان ، فيستغله بعض الشبان الأجانب ذوى الأعين المفتوحة ، وينشئون مشارب اللبن فى العاصمة ، فلا تزيد تكاليف المشرب الواحد على مائتى جنيه ثم يدرّ ربحا فى اليوم الواحد عشرة جنيهات !

* * *

والآن ! لا فائدة من تقريع الشبان المصريين على جريمة تعليمهم فيها ضئيل . ولسنا ننتظر من البيت المصرى أن ينقلب بين يوم وليلة بيتا نموذجيا يربى شخصية أطفاله وفتيانه ويبث فيهم روح المغامرة والابتكار والابتداع .

إن حب الوظيفة لعنة مضروبة على التربية المنزلية عندنا إلى أمد بعيد . ولكنها لعنة يمكن رفعها عن جو المدرسة المصرية ، ورفع هذه اللعنة يقتضى تغيير العقلية التعليمية بحيث تصبح التربية جزءا أصيلا من مهمة المدرسة .

ولكى تصبح التربية جزءا أصيلا من عمل المدرسة لا بد أن تختصر هذه البرامج المطولة التى ينفق فيها المدرس والطالب كل الوقت لحشو الأدمغة بالمعلومات ، ولا بد أن ينقص

عدد الطلاب فى كل فصل ، وأن ينقص عدد الفصول فى كل مدرسة ليستطيع المدرس أن يعرف تلاميذه ويستطيع الناظر أن يشرف على مدرسته ، ويتعاون الجميع على خلق شخصيات متميزة بدل أن يصنعوا قوالب متشابهة بحكم الازدحام .

ولا بد أن توضع للتعليم وللتربية أهداف . . . أهداف أخرى غير الامتحان ، أهمها تكوين شخصية معينة للطلاب يعنى فيها بميول كل طالب واتجاهه ويسمح لذاتيته بالنمو فى داخل هذه الحدود .

ولا بد أن توجد الصلة بين المدرسة والمجتمع ، وبينها وبين السوق العملية ، وأن تكون المرانة العملية جزءا من الدراسة كالتعليم النظرى سواء .

ولا بد أن تبسط للطلاب نماذج من الشخصيات الناجحة فى محيط الأعمال الحرة وأن يوجهوا نظريا وعمليا إلى غير وظائف الحكومة ، حتى تبدد هذه اللعنة من الرءوس !

على أن كل هذا لا يكفى ما لم تهيأ وسائل النجاح العملية بعد التخرج ، وأهم هذه الوسائل المال ، فبعض الشبان — حتى فى هذه الأيام — يحبون أن يسلكوا طريق العمل الحر ، ولكن المال يعوزهم ، بينما يوجد المال فى أيدى من ليس لهم هذا الاقدام ، أولئك الذين يتخرجون فى الزراعة مثلا فيقبلون وظيفة بعشرة جنيهات ، بينما آباؤهم يملكون ألوف الأفدنة ويدفعون مئات الجنيهات أجورا للوكلاء !

فالشاب الطموح يجب أن نوفر له المال ؛ وإنشاء بنك للتسليف الصناعى هو أفضل الوسائل ، فهو يتخصص فى هذه الناحية فيتقنها ويسهل إجراءاتها ويعرف كيف يضمن أمواله بعد التسليف ، وكيف يمد الشبان بالنصيحة والتوجيه لأفضل سبل النجاح والوفاء .

إن تعداد مصر يتضاعف كل ربع قرن ، وهذا شىء مخيف ، ولكنه يصبح أمرا محبوبا ومطلوبا إذا استطاعت البلاد أن تضمن الرزق للعدد المتزايد من السكان ، فالتعداد الكبير يهيئ لمصر مكانتها فى المستقبل على شرط ألا يزيدها فقرا وانحطاطا ؛ وإلا أصبح تزايد العدد كارثة .

وفى مصر من وسائل الرزق الشىء الكثير ، والمجال متسع للكسب والمعاش ، ولكننا نترك شبابنا فى ميدان الكفاح بلا سلاح ، فيهزمون بطبيعة الحال . ويتغلب عليهم أولئك المجهزون بأحدث وسائل النضال .

إن مصر بقرة حلوب ، ولا يجوز أن يذهب غيرها بدرها ، بينما أبناؤها يتزاحمون على أبواب الوزارات والمصالح أو يقنعون بأتفه الأعمال ذات الإيراد المحدود فى الشركات .

ولو كان فى مصر كثيرون من أمثال منشئ بنك مصر وشركاته من الأثرياء الذين يستخدمون أموالهم المكدسة فى تولى مرافق النشاط فى البلاد لما احتجنا لكتابة مثل هذا المقال !

حلقة مفقودة

فى نهضتنا العقلية الحديثة

بقلم الأستاذ سيد قطب

كانت نهضة مصر العقلية مقدمة طبيعية لنهضتها الوطنية والاقتصادية والاجتماعية فى العصر الحديث ، وعلى أساس تلك النهضة العقلية وما تلاها من نهضات قام مركز مصر فى العالم العربى ، وهو المركز الذى يجعل جميع شقيقاتها تتجه اليها وتستعين بها وتأخذ عنها فى بلاد الشرق كله .

فكل ما يقوى هذه النهضة إذن يقوى فى الوقت ذاته مركز مصر العالمى ، ويعد ضمانا لاطراد تقدمها الاجتماعى والاقتصادى والقومى ، مع الاحتفاظ لها بالمكان الملحوظ فى العالم العربى ، هذا المكان الذى تشغله الآن فتفيد بها نفسها ، وتنفع به أخواتها فى مناسبات شتى .

ولكل نهضة عقلية خطوات أو حلقات تعتمد الواحدة منها على الأخرى ، وتتابع هذه الحلقات جاء مطردا فى جميع النهضات العالمية من هذا القبيل ، لأنه تتابع طبيعى لا سبيل إلى قطع حلقاته ، أو تخطى واحدة منها ، إذا أريد أن تكون النهضة سليمة وقوية ومضمونة الاطراد .

هذه الحلقات هى : التطلع ، والنقل ، المحاكاة ، والإبداع .

فحين تستيقظ الأمة بعد خمول ، أو تنفصل بعد اندماج ، أو توجد بعد عدم ، تتطلع الى النهضات السابقة وتفتح أبصارها على ما عند سواها من نتاج علمى وفنى ، لا نظير له فى تراثها إن كان لها تراث . وهذا هو دور التفتح .

وبعد ذلك تتولى نقل ما يروق لها من هذا الذى تفتحت أبصارها عليه ، وأحست بالحاجة اليه ، وهذا هو دور الترجمة .

وحين تكثر المترجمات والمنقولات وتصبح هذه الكنوز الجديدة فى المتناول تنبثق آثارها فى العقول والنفوس ، وتؤثر اتجاهاتها وأدواتها فى الإنتاج ، وهذا هو دور المحاكاة .

حتى إذا تم هضم التراث الجديد وأحسنت محاكاته بدأ دور الإبداع والخلق على نسق جديد أو على نسق مطعم بالثقافات الأجنبية مع ظهور الطابع المحلى الأصيل .

وكثيرا ماتتداخل هذه الحلقات تداخلا يتعذر معه فصلها وتحديد مواضع التحامها ، ولكن هذا لاينفى ضرورة وجودها جميعا فى كل نهضة عقلية .

وعلى هـذه الأسس قامت النهضات العالمية المعروفة فى التاريخ يأخذ بعضها من بعض ويعتمد بعضها على بعض ؛ فالنهضة العربية العقلية مثلا جاءت بعد نقل مخلفات الإغريق والرومان والهند والفرس . ونهضة إحياء العلوم فى أوروبا قامت على أساس من المأثورات العربية والاغريقية واللاتينية . ونهضة مصر الحديثة كانت طلائعها فيما ترجمته البعثات العائدة من أوربا .

ومع أن النهضة المصرية قامت على نفس الأسس التى تقوم عليها النهضات عادة إلا أنها أهملت أو كادت مرحلة أساسية ، لأنها مرت بها مسرعة عجلة ، ولم تعطها حقها من الصبر والتنظيم والعناية ، تلك هى مرحلة الترجمة ، وهى حلقة تكاد تكون مفقودة فى نهضتنا العقلية الحديثة .

فلقد سارت مصر فى هذه المرحلة حينا من الزمن سيرا طبيعيا بعد عودة بعوث محمد على ، إذ توفر أعضاؤها على الترجمة والتأليف توفرا حقيقيا خلف لنا ثروة كبيرة بالقياس إلى عهدها القصير ، ثم اجتزنا بقية المرحلة ركضا لأننا استعجلنا مرحلتى المحاكاة والإبداع قبل أن نستكمل مرحلة الترجمة وهى أساس المرحلتين التاليتين .

ويبدو لى أن نهضتنا العقلية مزعزعة ، بل معرضة للانهيار بسبب هذه العجلة ، لأن طبقة المثقفين فى مصر — فيما عدا نفرا قليلا — منقطعة أو تكاد عن النهضة العالمية ، وعن المنابع الأصيلة التى تتفجر بالمعرفة ، وتفيض على الأرض كلها فى هذا الجيل .

فأصول المعرفة الإنسانية العالمية فى هذا العصر ، من النظريات العلمية والمذاهب الفلسفية والاتجاهات الفنية ، لايكاد يوجد لها أثر فى المكتبة العربية ، على عكس ما كان الحال مثلا أيام النهضة الإسلامية فى الشرق والغرب فى القرنين الثالث والرابع .

ما الذى تعرفه المكتبة العربية مثلا عن مذهب النشوء والارتقاء ، وعن نظرية النسبية ، وعن مذهب فرويد وتلاميذه ، ثم عن الرمزية والرياليزم والسوريالزم ، ثم عن المذاهب الاجتماعية الحديثة ، ثم عن الفلسفة المعاصرة والسابقة خلال مائة عام فقط فى العالم !

لاشىء إلا نتف صغيرة عن هـذه المذاهب لا عن أصولها ، وإلا اشعاعات فى أعمال المؤلفين المصريين تدل على التأثر بما قرؤا بدون تحديد مواضعه !

إن المكتبة العربية فقيرة فى هذه الأيام بالنسبة لما فى أيام النهضة الإسلامية ، وليس معنى فقرها أن عدد الكتب فيها أقل ، فهى أكثر بطبيعة الحال ، ولكنها الآن أقل تمثيلا للثقافة العالمية منها فى أيام النهضة الإسلامية ، ولقد كانت إذ ذاك تجمع أصول الثقافات العالمية مترجمة وأصول الثقافة العربية مؤلفة ، فكانت نسبيا أشمل وأكمل .

ويخيل إلى أن الثقافة المصرية الآن قائمة على أدمغة بضعة نفر قرءوا أمهات الكتب فى الثقافة العالمية ، ولم ينقلوها الى المكتبة العربية ، فلو أن حادثا — لا قدر الله — ألم بهذا النفر الذى يعد على أصابع اليد الواحدة — لا اليدين — لانقطعت الصلة بين مصر و بين أصول الثقافة العالمية إلى أن يأذن الله لنفر آخرين بالاطلاع على هذه الأصول !

ومنشأ ذلك كله أن الترجمة تبدو لبعض الناس أقل قيمة من التأليف ، فيحرص كل مثقف على أن يحمل لقب المؤلف لا المترجم ، ويؤثر لذلك أن يكتب متأثرا بما قرأه من ثقافات على أن ينقل أصلا من أصول هذه الثقافات .

وسبب آخر هو أن ترجمة هذه الأصول عمل ضخم لا يقوم به الأفراد ولا يستطيعون النهوض بتكاليفه ، وقد لا يضمنون الإقبال عليه إلا من الخاصة وعددهم قليل .

وسواء كان هذا أو ذاك فمن الواجب التفكير الجدى فى تلافيه حتى نلحق بركب الثقافة العالمية وقد سبقنا بأشواط ومراحل فى كافة الميادين .

إننا نعلم جميع أبنائنا لغة أجنبية ، وهى حالة لا نظير لها فى بلد من بلاد العالم ؛ فالمفروض أن طائفة محدودة من المتعلمين فى كل شعب هى التى تدرس لغة غير اللغة القومية ، وتتحمل هذا العناء المضيع للعمر وللاستفادة العلمية البحتة — فاللغة الأجنبية ليست ثقافة ولكنها وسيلة للثقافة — هذه الطائفة هى التى تعد لأعمال الترجمة وللأعمال المتعلقة بالخارج رسمية أو أهلية كوظائف السلك السياسى والسلك القنصلى أو الأعمال التجارية .

أما بقية المتعلمين فيدرسون لغتهم وحدها ، ويجدون فى هذه اللغة خلاصة وافية لثقافات العالم منقولة اليهم فى لغتهم . ومن هنا يرتفع رقم المترجمات فى كل لغة حية عن هذا الرقم فى اللغة العربية التى تكلف أصحابها الاطلاع على الثقافات العالمية بلغاتها الأصلية ، وكثيرون منهم يعجزون عن هذا الاطلاع بعد دراسة اللغة الأجنبية سنوات ، ثم لا يجدون فى لغتهم عوضا ولا بديلا .

ونحن فى عصر السرعة والاتصال ، فاذا عجزت لغة عن الإلمام بالكنوز الثقافية فى لغات العالم انقطعت الصلة بين عقلية أصحابها و بين العقلية العالمية ، وضاعفت السرعة من هذه القطيعة ، وتخلفت الأمة المنقطعة عن ركب الحضارة تخلفا نهائيا . وهذا هو الذى نخشاه على مصر فى عصر تتولى هى فيه زعامة الشرق العربى فى طريق النهوض .

نعم وجدت بعض الكتب المترجمة فى اللغة العربية ، ولكن قلما تناولت هذه المترجمات أصول الثقافة وينابيعها الأصيلة فى كل ناحية من النواحى ، وذلك للأسباب التى تقدم ذكرها مما يجعل هذه المهمة من واجبات الدولة لأنها هى وحدها القادرة على أدائها بما لها من قوة المال وقوة الاستمرار وقوة التوجيه .

فى روسيا مثلا هيئة ضخمة مقسمة إلى هيئات فرعية متخصصة ومهمتها هى نقل أصول الثقافات العالمية الى اللغة الروسية ، وترجمة كل عمل كبير يجد فى عالم المعرفة . والدولة هى التى تنفق على هذه الهيئة وتتولى نشر الكتب التى تترجمها . وبهذا ينشأ المتعلم الروسى فيجد فى مكتبته كل ما يحمله ركب العالم من أصول المعرفة .

أما فى انجلترا وفرنسا وألمانيا وأمريكا فقد تكفلت دور النشر بما تتكفل به الدولة فى روسيا وذلك بسبب توطد أقدام هذه الدور وعظيم مرانتها وكمال استعدادها للقيام بهذه المهمة الضخمة .

وفى مصر وجدت لجنة التأليف والترجمة والنشر ولكنها أضعف من أن تنهض بهذه المهمة الضخمة بسبب ميزانيتها المحدودة ، وبسبب ضخامة الثروة العقلية التى فاتت المكتبة العربية فى هذا الزمن الطويل .

فلا بد إذن أن تنهض الدولة بهذا الواجب كما نهضت به الدولة فى روسيا . وقد أنشئت فى وزارة المعارف ادارة لهذا الغرض منذ تولى الدكتور طه حسين بك مراقبة الثقافة العامة بها قبل أربع سنوات ؛ ولكن هذه الإدارة بعدد موظفيها وبميزانيتها المحدودة لا تستطيع أن تصنع إلا القليل فى هذا السبيل ولا بد من وضعها على أسس جديدة لتنهض بالعبء الفادح فى تاريخ النهضة الحديثة .

ومتى نظر المسئولون فى الدولة الى هذه المسألة بالعين التى ننظر بها اليها ، وعدوها مسألة النهضة العقلية التى تقوم عليها النهضة القومية والاقتصادية والاجتماعية ، كما يقوم عليها مركز مصر فى الشرق والعالم ، فانهم سيجدون تكليفها هينة بالقياس إلى عملها الجليل .

فالمكتبة العربية يجب أن تضم أصول المعرفة الإنسانية من كل لغة والمعرفة الإنسانية تقوم الآن على عدد من النظريات والمذاهب والأعمال العلمية والفلسفية والفنية التى أصبحت عالمية فى انتشارها وفى تأثر الفكر الإنسانى بها فى جميع بلاد العالم المتمدين .

ويمكن مع التواضع الشديد أن نقول : إن ألف كتاب من شتى اللغات قد تحيط بهذه النظريات والمذاهب والأعمال فى شتى فنون المعرفة الإنسانية ، وذلك حتى نلحق بركب العالم أو نرى سالم طريقه التى يقطعها ركضا فى القرن الأخير .

ونحب أن نعرض إحصائية ذات أرقام لما يكلفه هذا العمل من الوقت والمال .

تحاسب إدارة الترجمة فى وزارة المعارف بعض من تعهد اليهم بالترجمة من غير موظفيها على مليم لكل كلمة .

فاذا فرضنا أن لدينا ١٠٠٠ كتاب فى كل كتاب ٥٠٠ صفحة، وفى كل صفحة ٢٥ سطرا، وفى كل سطر ١٠ كلمات كان المبلغ المطلوب بالجنيهات هو :

١٠٠٠ × ٥٠٠ × ٢٥ × ١٠ ÷ ١٠٠٠ = ١٢٥ ألف جنيه .

فاذا وزعنا هذا المبلغ على عشر سنوات كان المطلوب فى كل سنة هو ١٢,٥٠٠ جنيه فقط . فهلا تشترى الأمة ثقافة العالم بهذا المبلغ الزهيد الذى يضيع فى مظهر من المظاهر الزائلة كل عام ؟

ونحن نقدم هذا الحساب على اعتبار أن هذه الكتب لن تأتى بايراد غير تكاليف الطبع ولكننا حين ننظر فنجد فى السوق أعمالا تجارية رائجة قائمة على طبع الكتب وبيعها ، نعلم أن هذا الحساب فيه كثير من المبالغة وأن تكاليف المشروع على أكبر تقدير قد لا تزيد على خمسة آلاف جنيه فى العام .

تستطيع الدولة إذن بميزانية صغيرة أن تكفل للمكتبة العربية أصول الثقافة الانسانية وأن تتابع التأليف العالمى فتنقله بعد ذلك أولا بأول ، وتتيح للقارئ العربى "فى لغته" ما يتاح للقارئ فى جميع اللغات .

والطريقة الطبيعية ألا تتولى هى مهمة الترجمة الفعلية ، فتولى مثل الأعمال ليس من طبيعة الحكومات الديموقراطية . ولكن أن تكبر إدارة الترجمة بحيث تصبح قادرة على الإحاطة بجميع ألوان الثقافات العالمية ، ثم تكل إليها أمر الإشراف على اختيار الكتب التى تمثل كل لون من هذه الألوان حق التمثيل ، ثم تعهد بهذه الكتب إلى متخصصين فى موضوعاتها قادرين على نقلها وتتولى هى عمل المراجعة والإشراف على الطبع ، كما تتولى تشجيع الهيئات الحرة التى تنهض بهذه المهمة بإرشادها ، فتكل إليها ترجمة بعض الكتب وطبعها ونشرها بوسائلها الخاصة مع اعانة مالية تضمن لها الربح وتشجعها على العمل .

وبهذه الوسيلة لا تمضى سنوات حتى تكتمل المكتبة العربية وتضمن الأمة أنها سائرة مع الركب العالمى فى شوط الحضارة الإنسانية .

سيد قطب

الأسرة الإنجليزية

للكاتبة الانجليزية سيسلى هاملتون

من كتابها " المرأة الانجليزية " ترجمها ولخصها عن الانجليزية الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

الأسرة الصغيرة :

تغير البيت الانجليزى منذ بداية القرن العشرين تغيرا أثر كثيرا فى حياة المرأة الانجليزية . يرجع بعض هذا التغير إلى أن نسبة المواليد هبطت فى انجلترا ، كما هبطت فى جميع أنحاء العالم المتمدين خلال السنين الخمسين الماضية . فأدى هذا إلى نقص فى حجم الأسرة وقلة فى عدد أطفالها ، وصارت نسبة الأطفال إلى مجموع السكان فى انجلترا أقل منها فى سائر أوربا إذا استثنينا السويد .

تتناقض الآراء فى هذا — فى قلة الولد وصغر الأسرة — تناقضا عنيفا ، فثمة من يرى فيه الخطر يتهدد كيان الأمة وينذرها بالوهن والتخاذل ، وثمة من يرى فيه الخير لقطر كانجلترا كثيف السكان شديد الازدحام ، لا تتيسر فيه فرصة العمل لكل قادر عليه من الرجال والنساء رغم تنوع المرافق ووفرة الثراء .

على أن ما يعنينى هنا أن أبحث أثر " الأسرة الصغيرة " فى الحياة العائلية . فأرى ، أول ما أرى ، أن انخفاض نسبة المواليد صحبه انخفاض فى نسبة الوفيات ، وعلى الأخص فى نسبة الوفيات بين الأطفال . لم كان هذا ؟ لا يمكن أن نعلل هـذا بأن أمهات اليوم أكثر حبا لأولادهن ، وأشد عناية بتنشئتهم ، من أمهات الأمس . وإنما الواقع الذى يجب أن نقرره هو أن الوالدة الحديثة أقدر وأمهر من الوالدة القديمة فى تربية طفلها والحفاظ على حياته ، وأن قلة الولد تيسر لها هذا العمل قدر ما كان يعسر على أمها أو جدتها الولود .

قال احد رجال التربية : إن هذا العصر هو عصر الطفل . صدق فى هذا ، فقد صارت تربية الطفل فى كل شعب متمدين فرعا من فروع الثقافة العامة ، وشأنا من شؤون الاصلاح الاجتماعى . صارت الفتيـات يتلقين فى مدارسهن على مدرساتهن ، والسيدات يتلقين عن طريق الكتب والصحف والراديو ، من وسائل الارشاد والتوجيه ما يمكنهن من أن يرعين أطفالهن رعاية رشيدة مثقفة ، ذات قواعد خاصة وذات أغراض معينة .

لم تعد الأم الحديثة تربى طفلها — كما كانت تربيه أمها وجدتها — وفق ما تهديها وتوجهها غريزة الأمومة ، مضافا إليها ما تكسبه من التجارب والدروس . كلا ؛ بل صارت الهيئات الاجتماعية المختلفة تهيىء لها الوسائل العلمية لتربية طفلها منذ أن تحمله جنينا إلى أن يشب يافعا .

جلست ذات مرة فى دار من دور " الترحيب بالأطفال " المنتشرة فى أرجاء انجلترا ، فرأيت وفدا من هؤلاء الضيوف الصغار تتلقاهم الممرضات لقاء البشر والترحيب ، فيزنّ أجسامهم و يفحصن أبدانهم ، ثم تذهب أمهاتهم إلى طبيب الدار يعرضن عليه أطفالهن فإذا انتهين من استشارته عما يهمهن من أمور الأطفال اجتمعن حول مائدة كبيرة فتناولن الشاى والحلوى بينما الطبيب يلقى عليهن محاضرة يسيرة شائقة عن صحة الوليد ورعاية الطفل .

كانت هذه الدار إحدى ثماني عشرة دارا فى مدينة واحدة من مدن انجلترا المتوسطة ، وفى انجلترا مئات من هذه الدور التى لا تحمل الخزانة العامة كثيرا أو قليلا من نفقاتها ، إذ الفضل فى إنشائها و إدارتها يرجع إلى الهبات السخية التى يتبرع بها الخيرون من الأثرياء .

ليست مهمة دور " الترحيب بالأطفال " هذه مقصورة على فحص الأطفال ونصيحة الأمهات ؛ فمنها ما يقيم من حين إلى حين معارض يفد إليها الناس ليروا خير غذاء تتناوله الحوامل تقوية لهن على مشاق الحمل والولادة ، وخير غذاء يقدم للأطفال تنمية لخلاياهم الناشئة وتقوية لعظامهم الغضة ؛ وهى تراعى فى اختيار ما تعرض من ألوان الطعام أن تكون ميسورة لعامة الناس مع اشتمالها على أكمل عناصر الغذاء . ومنها دور تستضيف أطفال الحى يوما أو يومين من كل أسبوع ؛ فيودعهم أمهاتهم فى كفالة الممرضات حيث يمضون ساعات اليوم يمرحون و يتأرجحون بين الزهور والشجيرات ، وعلى الأعشاب والرمال ، وما إلى ذلك من لهو الطفولة ونشاطها .

فهل لنا أن نعجب إذًا حين تنبئنا الإحصاءات أن مأساة موت الطفل صارت اليوم أقل وقوعا مما كانت فى عهد أمهاتنا ؟

إن أزواج اليوم ، شبانا وفتيات ، يقدّرون مسألة الأبوة والأمومة تقديرا جدّيا : فلم تعد الفتاة التى ترجو أن تكون أما لطفل يوما ما تنتظر مجىء هذا الطفل ثم تمرن وتتدرب على تنشئته وتربيته ، بل صارت تتأهب للقاء هذا الطفل حتى قبل أن تتزوج بما تقرأه وتدرسه من شؤون التربية والتمريض . لقد نشأت حرفة جديدة ، هى حرفة الأمومة ، وبفضلها أمكنها فى ربع قرن أن تنقص وفيات الأطفال بمقدار ٥٠ ٪ فصارت فى سنة ١٩٣٠ نصف ما كانت فى سنة ١٩٠٥ ولم يكن هذا التقدم العظيم فى حياتنا العائلية مقصورا على طبقة دون طبقة ، ولم يكن حظ الفقير منه أدنى من حظ الغنى ، بل شمل وأفاد جميع الأوساط .

كذلك من المزايا المشهودة فى هذه "الأسرة الصغيرة" أن الأم الحديثة تستطيع أن تكون صديقة ورفيقة لطفلها أو لطفليها عند ما يشبان عن دور الطفولة، على نقيض جدتها فى العصر الفيكتورى التى كانت تنجب ثمانية أو تسعة أطفال ، فتظل منذ سن الزواج الى سن اليأس فى سلسلة متصلة من الحمل والوضع والرضاع والتمريض ، فلا تخلو لها فرصة طويلة تصادق فيها أطفالها الذين يكبرون ، ويتعلمون من أمهاتهم صداقة تؤنسهم وترشدهم وتهديهم .

تستطيع الأم الحديثة أن تشارك ابنها بعض ميله و بعض نشاطه حين يترك البيت الى المدرسة، ثم حين يخرج من المدرسة الى الحياة . ومعنى ذلك أن هذه الأم صارت أدنى إلى قلب ابنها مودة وقربا ، وأوثق بحياة ابنها وشيجة ورباطا ، من تلك الأم القديمة التى كانت لا تكاد تفرغ من رضاع وليد حتى تبدأ فى حمل سواه ...

لست أريد أن أقول إن حب الأم ابنها زاد فى القرن العشرين، وإنما أقول إنه حب من نوع جديد : حب فيه صداقة تقرب بين جيل الأم و بين جيل ابنها ، فتؤلف بين تفكيرهما وشعورهما وميولها .

التدبير المنزلى :

نشاهد تطورا ثانيا فى الأسرة الانجليزية مرجعه إلى أن نساء الطبقة الوسطى صرن أمهر مما كن منذ عشرين أو ثلاثين سنة فى الأعمال المنزلية .

كانت السيدة الانجليزية فيما مضى تكاد تجهل كل الجهل فن الطهى، وكان المطبخ فى عامة البيوت المتوسطة منطقة تختص بها الطاهية وحدها. فكانت الفتاة تنشأ فى هذه البيوت كأمها لا تدرى شيئا من صنع الطعام الذى تزدريه سائغا شهيا، ولا سيما أن مدارس البنات لم تكن تعلمها كثيرا من أمر المنزل وما يتطلبه من عمل وتدبير .

كانت الأعمال المنزلية إذن من اختصاص طبقة معينة يرتزق نساؤها من ممارستها كمربيات أو طاهيات . فكانت الفتاة فى الطبقة الوسطى تقدم على الزواج وهى لا تدرى من أعمال البيت وتدبير ميزانيته كثيرا ولا قليلا ، اعتمادا على امرأة من تلك الطبقة الفقيرة تستخدمها فتكفيها مشقة العمل ومؤونة التدبير .

ما الذى أدى الى تغيير الأمر فصارت السيدة الحديثة تعتمد على نفسها فى تنظيم بيتها ؟ أدى الى ذلك إيثار الأسر فى الوقت الحاضر سكنى "الشقق الصغيرة" على سكنى المنازل الكبيرة .

كانت الأسرة الانجليزية فيما مضى تؤثر أن تستقل بمسكنها ، تمشيا مع طبيعة الرجل الانجليزى الذى يجنح الى العزلة و يميل الى الانفراد . وكان هذا المنزل المستقل يتفاوت ، حسب ثراء الأسرة التى تسكنه، بين الكوخ المتزوى الضئيل والبيت المؤلف من عدة طباق.

وكثيرا ما كانت الأسرة التى لا تتجاوز سبعة أو ثمانية أفراد تسكن بيتا شاغا فسيحا فيه عشرون حجرة أو ثلاثون ، ذلك أن مثل هـذه الأسرة كان يتبعها جمع من الخدم والحشم يشغلون جانبا كبيرا من البيت . أما اليوم فقد قسمت مثل هـذه البيوت الى " أدوار " أو الى " شقق " يسكنها عدد من الأسرات . وأخذ الناس يعدلون — سواء فى المدن الكبرى أو فى الضواحى النائية — عن بناء تلك المنازل المستقلة ، ويقبلون على بناء العمائر الضخمة التى تشمل عشرات بل مئات من المساكن الصغيرة .

انتشرت هـذه العمائر فى السنين الأخيرة انتشارا كبيرا وأقبل الناس على سكناها أشد الاقبال ، وذلك لسببين : أولهما ، صغر حجم الأسرة فلم تعد ثمة حاجة الى البيت المستقل الكبير ، وثانيهما ، قلة الخدم وزيادة أجورهم منذ أخذت الصناعة الحديثة تجتذب اليها الصبيان والفتيات والنساء ، فآثر الناس المساكن الحديثة الضيقة حيث لا يقتضى العمل فيها جهدا ونصبا .

هذه المساكن الصغيرة أرغمتنا على أن نتنزل عن كثير من العادات المنزلية التى نشأنا عليها وأن نروض أنفسنا على تقاليد أخرى كان آباؤنا ينفرون منها ، فمن ذلك أن حملت المرأة على أن تعتمد على نفسها ، لا على خادمها ، فى تدبير شؤون بيتها . وقد صار هذا العمل أيسر وأنفع مما كان ، بفضل كثير من الأدوات المنزلية الحديثة التى تعفى المرأة من كثير من العمل المجهد . وكان دخول الكهرباء الى البيوت نعمة على ربباتها ، فقد حلت محل أيديهن فى كثير مما كان يجهدهن من طهى الطعام وإعداد الشراب وكى اللباس وتدفئة المساكن وغير ذلك .

على أنى لا أريد أن أقول إن المرأة الانجليزية الحديثة برئت كل البرء مما كان يعاب على أمها من جهل بشؤون الطهى وتدبير المنزل . كلا ، فما زلنا شعبا فقيرا فى الطاهيات البارعات وفى الطهاة المجيدين . ومن المؤسف أن تظل الى اليوم مطاعم الدرجة الأولى فى المدن يديرها الأجانب غالبا . ومرجع هذا فيما أرى الى أن تعليمنا الثانوى لا يعنى العناية الكافية بشؤون الحياة البيتية قدر عنايته بتلك الدروس النظرية التى يحشو بها الرءوس حشوا قلما ينفع ويجدى ...

لو كان لى الأمر فى التعليم لفرضت دروسا فى التدبير المنزلى لا على الفتاة وحدها ، بل على الشبان كذلك . فليس من شبابنا ورجالنا من يستطيع أن يغسل ملابسه ويرقأها ، أو أن يعد لنفسه إفطارا أو عشاء ، رغم أنه غالبا ما يضطر الى أن يقضى فترة من حياته دون زوجة ، وكثيرا ما يقترن بزوجة تعمل خارج البيت . فمن حقها أن تستعين به فى بعض أعمال البيت ، كما يستعين هو بها فى زيادة إيرادهما ...

مع هذا كله فان فتيات الطبقة الوسطى الانجليزية اللاتى يصلحن " ربات بيوت " زاد عددهن كثيرا منذ بدء القرن الحالى ، فصار الرجل الحديث يقدم على الزواج وهو واثق أنه

سيجد فى بيته زوجا تستطيع أن تعد له وجبة سائغة مغذية بأقل نفقة ممكنة ، وذلك بفضل معاهد التدريب المنزلى التى تقبل عليها الفتيات قبل زواجهن بكل الاقبال . ومرجع هذه العناية بأمر الطعام إلى أمرين :

(أولهما) انتشار الدعاية الصحية التى عرفت الناس بألوان الطعام المغذية الجيدة ، ونبهتهم إلى أهميتها فى تكوين الجسم وتجديد الصحة وبث الحركة والنشاط .

(ثانيهما) قلة الخدم رغم ارتفاع أجورهم ، فصارت ربة البيت التى لاتستطيع أن تدفع أجرا عاليا جدا تستأجر به طاهية ، ولا يتيسر لها فى الوقت ذاته أن تعتمد هى وزوجها وأولادها على المطاعم العامة — صارت تعتمد على نفسها فى إعداد الطعام ؛ فاذا كانت المدارس قصرت فى هذا الباب تقصيرا معيبا ، فإن الضرورة أصلحت الأمر واضطرت المرأة إلى أن تجرى شؤون بيتها بيديها وحدهما .

الخادم والعاملة :

نتدرج من هذا إلى النظر فى تطور ثالث طرأ على حياة المرأة الانجليزية الحديثة ، وهو انصرافها كل الإنصراف عن أعمال الخدمة المنزلية رغم ما فيها من مزايا جزيلة .

أخبرتنى إحدى "مديرات" البيوت الريفية العريقة فى انجلترا أن هذه البيوت التى شادتها الارستوقراطية العتيدة منذ قرون عديدة سوف توصد أبوابها عما قريب . وعللت ذلك بأمر واحد ، هو ما تلاقيه هذه البيوت من المشقة فى تهيئة ما يلزمها من الخادمات البارعات . ذلك أن الفتيات والنساء صرن ينفرن من الخدمة المنزلية لأسباب شتى ، منها أن الخادم قلما يتيسر لها جو الصداقة أو الزمالة ، وهو عنصر من أهم عناصر الحياة الممتعة الطيبة ، تعيش الخادم فى شبه عزلة لا تستمتع فيها بمتعة الصداقة ، إذ لا سبيل إلى مصادقة سادتها وهم أرقى منها مرتبة وتفكيرا ، ولا سبيل إلى مصادقة مثيلاتها الخادمات ، لأن كلا منهن منصرفة نهارها وليلها إلى العمل فى بيتها . . . هذا العامل النفسى ينفر الفتاة الحديثة من أن تكون خادما ، رغم ما تتقاضاه الخادم من الأجور العالية .

أما القصور الكبيرة التى تستخدم عددا كبيرا من الخدم والحشم فيتهيأ فيها جو الصداقة بين أفراد هذه الطبقة المتماثلين ، ومع هذا فانها تجد مشقة فى إيجاد ما يلزمها من الفتيات والنساء . لقد مضت تلك الأيام التى كانت تحسد فيها العائلة الريفية المتوسطة إذا وفقت إحدى بناتها إلى العمل فى " القصر الكبير " الذى يسكنه سيد الاقطاعية . وصارت هذه الفتاة تؤثر الذهاب إلى المدينة حيث العمل أوفر ، والحياة أمتع ، رغم ما فى المدينة من مشاق وصعاب .

فهذه القصور الريفية على بذخها وفخامتها تنقصها "الحياة" النابضة الحافلة التى يستمتع بها الفتيات والنساء فى المدن الكبرى ، حيث الشوارع والميادين ، حيث السينمات والمسارح ، حيث الأندية والحفلات ، حيث المتاجر والمعارض ، حيث الأضواء والسيارات والأزياء وغيرها من مظاهر الترف والزينة والبهاء . لم تعد الفتاة تستطيع أن تقاوم رغبتها فى هذه الحياة الصاخبة العنيفة ، حتى أن ٩٩ ٪ من الفتيات يفضلن العمل فى المصانع والمكاتب على العمل فى البيوت والقصور . ومع أن المربية أو الطاهية أعلى أجرا وأحسن مسكنا وأكثر راحة من العاملة فى مصنع أو الموظفة فى متجر ، إلا أن ايثار الحرية والاستقلال ، والنفور من القيود والتقاليد ، يدفع بالفتيات دفعا لا يقاوم من القرى إلى المدن ، ومن الخدمة فى البيوت ، إلى النزول فى ميدان الأعمال .

بل إن العمل فى الصناعة الحديثة ممل ثقيل ، لأنه يفرض على العامل أن يكرر عملية تافهة طوال ساعات عمله ، يوما بعد يوم ، وشهرا تلو شهر ، وعاما فى إثر عام ... فى حين أن عمل المربية أو الطاهية يمتاز بألوان من التنوع ، والتفنن تجعله ممتعا محبوبا ، ومع هذا فإن الفتاة تؤثر العمل أمام جهاز صناعى على تربية طفل أو إعداد مائدة . ذلك أن العمل الأول محدد بساعات معينة إذا انقضت صارت الفتاة حرة طليقة إلى الصباح التالى ، كما أن فى العمل الأول إجازة يوم من كل أسبوع يمكن أن تتنهزه لقضاء وقت طيب مع بعض زميلاتها أو أصدقائها .

الى جانب هذا نتذكر أن فتاة المصنع فى انجلترا صارت فى زيها وأناقتها تعدل أية سيدة وافرة الثراء . انقضت الأيام التى كانت فيها هذه الفتاة تتدثر بشال من الصوف السميك تجعله قبعة ومعطفا معا ، وصارت الفتاة الآن تلبس القبعة الأنيقة والمعطف البديع . وهذه حسنة من حسنات الإنتاج الصناعى الذى ألغى الفوارق بين الطبقات فى أمر اللباس ، بما وضعه فى أيدى أوساط الناس من القماش البديع والزى الجميل فصاروا لا يفرقون عن الأثرياء والمترفين كثيرا .

وكذلك الأمر فى زينة النساء ، فلم تعد الشعور الموجة والأظافر الملونة مقصورة على ذوات الثراء ، بل صارت تحلى الرءوس والأنامل من فتيات المصانع والمتاجر والمكاتب .

هذا كله أدى الى ارتفاع أجور العاملات حتى ضاهت أجور الرجال بعد أن كانت تنقص عنها كثيرا . وهذا خير . فكل ارتفاع فى أجور العمل يؤدى الى ارتفاع فى مستوى الحياة ، أى الى الارتقاء فى درج المدنية التى تحول كثيرا من الكماليات الى ضروريات .

هذه صورة وجيزة عن تطور المرأة الانجليزية والأسرة الانجليزية فى العهد الجديد ، وهو تطور ملىء بالدروس والمظاهر التى يجدر بكل مفكر اجتماعى أن يلقى إليها فكره طويلا ، فسيسرى مثل هذا التطور على كل امرأة وكل أسرة ، فى كل قطر وكل بيئة .

ملاحظات عامة

القراءة الرخيصة — أحاديث السيدات — حرمة البيوت
مفارقات العصر

(١)

القراءة ينبوع التجدد ، والذى لا يقرأ ينكمش شيئا فشيئا ، وتتضاءل شخصيته كلما تقدمت به الحياة ، ويخسر عن الموجة العقلية فى عصره فيرتد إلى عصر سابق ، ويبدو قطعة أثرية قديمة ليس لها قيمة الآثار !

ولكن ماذا يقرأ الانسان ليتمتع بمزايا القراءة التى أسلفنا ؟ .

يجب أن يقرأ شيئا ذا قيمة ، شيئا يمنحه المعرفة ويعطيه ما ليس يملكه ، ويبعث فيه الطموح والإشراق ، ويوسع آفاق الحياة فى نظره ، ويكبرها فى عينيه ، فلا تعود وهى "الروتين" اليومى والوقائع التافهة التى تتكرر كل صباح ومساء .

واذا نظرنا إلى القراءة على هذا النحو حالنا ما نراه من حالة الشباب المصرى فى هذه الأيام ! إن هذا الشباب من الجنسين لا يقرأ أصلا ، وإذا قرأ فانما يلتهم المجلات والكتب الرخيصة ، يلتهم مجلات الخبر النافه والنكتة المؤذية ، وكتب الحادثة المثيرة والقصاية الرخيصة بينما المجلات الأدبية كاسدة ، والكتب الجدية بائرة .

إنه شباب فارغ ينشد التسلية ويخرج منها أفرغ مما دخل فيها ... إن خبر فلان الذى طلق فلانة وصورة الشاب الذى وقف أمام صوانه يستعرض "كرفتاته" ! وقصة المرأة التى سرقت زوج صديقتها ، وحكاية اللص الذى ضاق الشرطة . . . الى آخر هذا الكلام الفارغ هى التى تشغل فراغ شبابنا المصرى ، وحياتهم كلها فراغ .

وبينما يشتغل الشباب المصرى بهذا الهراء ، يلتهم شباب فلسطين وسوريا ولبنان والعراق والحجاز والسودان ومراكش وتونس ، كل ما تخرجه المطابع من الكتب العلمية والأعمال الفنية ، ويتتبعون آثار كبار الأدباء والعلماء فى مصر وفى العالم ، وينضجون بسرعة ، ويتولون زمام النهضة العربية باستحقاق .

فى مصر كتاب وعلماء الصف الأول ، وهؤلاء هم الذين يسترون موقفها بين الأمم العربيـة ، ويكسبونها مركز الزعامة ، ولكن الصف الثانى المتهيء للتقدم واحتلال المكان الأول ليس فى مصر ، لأن الشبان المصريين لا يقرءون إلا التافه ولا يتهيئون لأن يخلفوا كتاب الجيل الحاضر وعلماءه وشعراءه وفنانيه .

وإن الإنسان ليدهش اليوم وهو يرى السوق مليئة بمجلات تافهة كلها نسخ مكررة وكلها تستنفد وقت الحياة الثمين الذى تجود به الدنيا على الناس مرة واحدة فيضيعونه فى هذا الهذر، بدل أن يوسعوا آفاقه بالاطلاع المفيد .

إننى لأقرأ هذه المجلات أسبوعا ثم أهملها عدة أسابيع ثم أعود اليها فكأنما هى لم تتغير ولم تتجدد خلال هذه الأسابيع ، وكل ما حدث أن تغيرت الأسماء التى تقحمها فى أخبارها التافهة وفكاهاتها المبتذلة ، ولولا عملى الصحفى ما قرأتها ولا خسرت شيئا بإهمالها ، بل لكسبت الوقت ، والارتفاع النفسى عن هذه المقاذر، واحترام الحياة عن تقضيتها فى هذا العبث الذى لا يألفه إلا الفارغون .

إنها لعنة تصيب المصريين ولا حياة لها فى غير مصر من الأقطار العربية جميعا . فليتنبه لها المصريون !

(٢)

أصغ قليلا وأنت فى الترام أو القطار أو السينما أو المسرح الى ما يدور بين سيداتنا من الأحاديث — أو لا تصغ فستبلغك أصواتهن على الرغم منك ومن أصوات الممثلين والممثلات — تجد أنهن قد أخذن فى أحاديث عجيبة بصوت مرتفع كأنهن خطيبات فى قاعة للمحاضرات !

وماذا أنت سامع ؟ أحاديث عن أسرار عائلية لا ينبغى أن تذاع ، أو عن شؤون خاصة من تفصيل ملابس ، وشراء أثاث ، وخطوبة بنات ، وخصومة قريبات ، وأخبار حفلات... جميعها لا يعنى أحدا من الركاب أو النظارة ، وليس هذا مكانها المناسب ولا وقتها المختار، ولكنها تلقى من النوافذ وفوق المقاعد، وتصك الأسماع التى لا تريد سماعها ولا ينبغى لها أن تسمعها لولا " دردشة " السيدات .

لكأن هذه الألسنة قد ركبت فى أفواههن لغرض واحد هو أن تتحرك باستمرار فتثير ذات اليمين وذات الشمال على كل الآذان جميع ما ينبغى أن يصان، أو ما لا يستحق أن تشغل به الأذهان .

وتكون السيدة جالسة منفردة فإذا هي هادئة وقورة ، فما أن تدخل سيدة أخرى — تعرفها أو لا تعرفها سواء — حتى يذهب الهدوء كله ، ويتبخر الوقار كله ، وفى غمضة عين إذا هما متعارفتان و إذا هما تتحدثان فى أخطر المسائل وأتفهها على السواء ، و إذا بقية الركاب أو المتفرجين قد عرفوا موضوع الحديث بفضل ارتفاع الأصوات ، وقد يكون الموضوع من أخص شؤون العائلات !

فاذا قامت المعاثرات فى الملابس والمسكن والمركز الاجتماعى فهنا ينقلب الحديث مظاهرة. كل منهن تذكر أسماء بيكوات و باشوات — بلا مناسبة — إلا أن يعرف الناس أنهم من أقاربها أو معارفها وكل منهن تلوك أسماء محلات تجارية راقية ... حتى يعلم الناس أنها من زبائنها . وكل منهن اشترت كيت وكيت وخاطت فساتينها عند " مدام " فلانه حتى يسمع الناس بذلك الخبر العظيم . ولا تنفض المظاهرة حتى يقف القطار فى محطة الوصول أو عندما ينتهى العرض و يعزف السلام !

كل هذه ولا شك مظاهر من سوء الذوق ، ومن ضعف الشخصية ، يجب أن ننبه الى مقاومتها فى المدرسة عن طريق الارشاد والسلوك ، وفى الأسرة عن طريق الأمهات المثقفات ، حتى يكون لنا جيل آخر من السيدات .

(٣)

كثيرا ما تكون فى دارك بين أهلك وأسرتك ، فما تشعرون إلا وكلمة بذيئة أو جملة نابية أو حركة وقحة تقفز اليكم من النافذة أو تصعد اليكم من الطريق !

ما هذا ؟ إنهم جماعة ممن لا خلاق لهم يتبادلون الشتائم القذرة أو النكات الساقطة . أو واحد فقط يسلى نفسه فى الطريق العام !

مظهر لا نظن أن له مثيلا فى شعوب العالم جميعا .

و إنه ليعجبنى قول الأستاذ بيرم التونسى فى مناسبة من هذه المناسبات وهو يعدد المظاهر التى لا نظير لها فى العالم :

ولا واحد طالع يجرى ... وواحد تانى يجرى وراه
و يقول له أدينى حصلتك ... يا بن اللى أبصر أيه عملاه !

هذا اعتداء على حرمة البيوت منشؤه سوء التربية وتهاون الجمهور ، فلو أن هؤلاء الذين يعتدون على حرمة الأسماع فى البيوت الآمنة يجدون من سكانها مقاومة تردعهم ، لحسبوا حسابا للسكان .

على أن هناك اعتداء من نوع آخر أشد وأعنف، فهأنت ذا جالس فى دارك مع أهلك من نساء ورجال وفتيات وصبيان ، وإنك لتجهد نفسك فى تربيتهم وتقويم أخلاقهم ، وتحرسهم من الاختلاط بالأوساط الواطية، ولكن ها هو ذا راديو الجيران أو القهوة التى تحت المنزل يصب فى آذانكم جميعا " بلاش تبوسنى فى عينى " أو ها هو ذا المذيع يقول لك : " نحن فى صالة فلانة " وعليك أن تسمع أنت وأهلك ما يدور فى الصالات من فحش ولو لم تكونوا من رواد الصالات !

هذه حالة لا تطاق ، واعتداء على حرمة البيوت لا يغتفر ، واذا استطعنا أن نقاوم السفلة الذين يفرضون علينا سماع ألفاظهم القذرة وحركاتهم الوحشة، فكيف نستطيع أن نقاوم راديو الجيران و " ألو ألو تسمعون الآن " ؟

(٤)

كثيرون يتخبطون بين التقليد وبين التمسك بالتقاليد ، فلا هم محافظون ولا هم مجددون ولا هم شرقيون ولا هم غربيون ، ولا هم متدينون ولا هم إباحيون . . .

وتقع من هؤلاء مفارقات عجيبة مضحكة تدل على هذا التأرجح النفسى والفكرى ، وتدل فى الوقت ذاته على ضعف الشخصية واضطراب العقلية .

من هذه المفارقات أن يحتفل ناس بالعام الهجرى فى حفلات راقصة تدور فيها الكؤوس ، وتلتحم الخصور . ففيم كان الاحتفال بهجرة النبى الذى حرم دينه الخمور ونهى عن الاختلاط المثير ؟

ولكنها مفارقات العصر . . .

ومن هذه المفارقات أن يحتفل العائدون من الحج والعائدات ، على طريقة الاحتفال بالعام الهجرى فى سهرات ورقصات وكؤوس مترعات ، وما كان أغناهن عن الحج وعن الاحتفال ولكنها مفارقات العصر وما أكثر هذه المفارقات .

متى يثوب هذا الفريق من الناس الى شخصية قوية ، والى يقظة قومية ، والى اعتزاز بأنفسهم وأوطانهم ، ومباهاة بتقاليدهم وشعائرهم ؟

انهم سيثوبون يوم يجدون الاحتقار الصامت من الوطنيين الصميمين . المعتزين بقوميتهم ، الشامخين بأنوفهم ، لأنهم من سلالة أمة عريقة وشعب عظيم .

حينما نقلد . . .

للأستاذ فايد العمروسى

لا يعنينى عند الكلام فى التقليد أن أبحث عن أسبابه ومظاهره النفسية كما يصنع علماء النفس . إنما يعنينى منه الجانب الاجتماعى والعملى الواقع فى الحياة المصرية .

وأكثر ما يبدو هذا التقليد فى الأسر الراقية والمتوسطة ، أما الأسر الفقيرة العاملة فليس لها نصيب فى هذا المجال لأن لها من مشاغلها ومتاعبها ما يقف مجهودها للعيش وتوفير أسبابه ، وليس لها من فسحة النفس أو المادة ما يلفت نظرها الى ما يختلف حولها من مظاهر العيش وأساليبه المتجددة كلما دار الزمن وتغيرت مظاهر الحياة .

إنما يشعر بتطور الزمن أولئك الذين تؤثر الكماليات فى نفوسهم وليس للضروريات أثر فى حياتهم والذين يعنيهم من مظاهر العيش ألوانها وأشكالها فحسب ، هؤلاء هم الذين حملوا لواء التقليد وتزعموا حركته و بالغوا فيه وأمعنوا ، ولا أزعم أن تقليدهم كان سيئا فى جميع أحواله وأوضاعه ، بل ان فيه النافع الذى أفاد فى ترقية المنزل ، ومنه ما أضر كل الضرر بالنفوس والأخلاق .

والتقليد عندنا كما قلت محصور فى الطبقات المتوسطة والراقية ، فالطبقات المتوسطة المصرية تقلد الطبقات الراقية المصرية ، تقلدها فى مسكنها وملبسها ومشربها . تقلدها فى جل مظاهرها رغبة فى اللحاق بها والاستقرار فى مستواها ، وهى بحكم قوتها المادية لا تستطيع أن تجارى من هم أقوى منها اجتماعا ومالا ، ومن هم أكثر منها قبولا للأوضاع المقلدة واستعدادا ، ولقد نشأ عن هذا الصراع الاجتماعى أن اضطربت الأسر المتوسطة بين المحاولة والعجز ، و بين التطلع والنكوص فكان الفشل والسقوط .

وهنا وفى محيط تلك الأسر وحدها يكمن الخطر من التقليد الأعمى ، فالشاب المتوسط الحال يقلد مدفوعا شابا آخر أقوى منه اجتماعا ومالا ، يقلده حينا من الزمن الى أن تعجز مقدرته ، ويضعف استعداده الوقتى فيتلمس السبل الأخرى — وما أكثرها — كى لاينقطع تيار محاكاته الشهى ، وما درى ما جرت عليه هذه السبل من الفجائع والأخطار فى شخصه وفى طبقته ، و بالتالى فى المجتمع العام الذى يعيش فيه .

والفتاة المتوسطة الحال كذلك ، إنه ليصعب عليها ألا تكون " بنت ذوات " و" بنت ذوات " هذه كلمة لها مدلولها ، ومدلولها له ثمن أى ثمن ، وأقل ثمن له الغنى والجاه ؛ والغنى والجاه لن يتوافرا لمتوسطة الحال المشغوفة بالتقليد العنيف والمحاكاة المجردة من كل فهم أو تقدير ، وما أظننى فى حاجة الى بيان خطر التقليد على مثل هذه الفتاة أكثر من حاجتى الى القول بأنها كثيرا ما تضطر الى أشياء تؤذى الأسرة والمجتمع .

وهناك تقليد الطبقات المصرية الراقية بعضها لبعض ، وهذا نوع من التنافس الاجتماعى المحدود ، وهذا التقليد لن يضير المجتمع بطريقة مباشرة أكثر مما يضير الأسر المتنافسة نفسها فى مركزها المالى .

وهذه الطبقات كلها دون استثناء تقلد الطبقات الأوربية راقية كانت أم غير راقية ، ولست أدرى سر هذا الاعجاب ، فطبقاتنا الراقية — والحمد لله — على نصيب وافر من الثقافات الفكرية والتهذيب النفسى ، ثم هى على جانب آخر من الغنى والجاه ، واذا اجتمعت هذه العوامل — الثقافة والتهذيب والغنى كان من مقتضياتها الاعتزاز والأنفة والثقة بالنفس مما كان يجب أن يحول بينها و بين اتباع الغير أو التلاشى تحت تأثيره .

ومن مظاهر تقليد هذه الأسر : المعيشة المنزلية :

فمظاهر هذه الحياة المنزلية لدى هذه الأسر ليس للصبغة المصرية أثر فيها ، فنظام الأثاث والترتيب والزينات والتحف كله أوربى ، ومظاهر الاجتماع من مقابلات وتحية وحديث ونقاش وتوديع — كلها خالية من الطابع الشرقى ونحن قدوة الشرق ومحط آماله ، ولن تستطيع اذا دخلت قصرا مصريا أن تحس مصريته ، أو تشعر بقرابة بينك و بين أهله ، اللهم الا اذا كنت ممن يجيدون التقليد الناعم الرقيق ، والا فأنت من عنصر غير عنصرهم أو أنت بالتعبير المتعارف عندهم " فلاح " ؟

ومن مظاهر هذا التقليد : لغة الحديث :

فالكلمات العربية على ألسن هذه الطبقات مرة . . . ثقيلة ، والجمل الصحيحة المستقيمة على أسماعهم سخافة وعدم ذوق ، فحديثهم فى الغالب لغة أجنبية لأنها فى ظنهم تحيط بشتى الموضوعات التى تعنيهم من الحديث فى الأزياء والأصباغ وأحدث الابتكارات الأوربية ؛ وهى التى تغذى شعورهم فى مختلف الأحاديث عن الحفلات والسهرات وعن عواطف النفس وخوالج الشعور ، والتى يجدون لها فى اللغة الفرنسية مثلا أرق الاصطلاحات فى النطق ، وأعذبها على السمع ، وأخفها على النفس .

هذا ولاشك تقليد ، وتقليد للغير الذى يعتز بلغته و يكبرها فيرغمنا نحن على اتباعه ومشاركته فى هذا الإكبار ! !

واستخدام لغة أمة أخرى غير لغتنا غير ممنوع فى مناسباته الضرورية ، وإنما الممنوع أن يكون استخدامها دائما وقائما على أشلاء لغتنا العربية التى هى مظهر كياننا القومى العزيز .

وقد تكون ثقافة هذه الأسر أو بعضها ثقافة أوربية حقة ، ولكن هذا لا يمنع أهلها من معرفة لغتهم والحديث بها فى اجتماعاتهم المنزلية وغير المنزلية ، ولا سيما أن فى هذه الأسر أطفالا بنين و بنات هم فى حاجة فى مراحل الطفولة إلى حديث عربى مستقيم يتفهمون به مايحيطهم من مظاهر الحياة وصورها ، والمنزل كما نعرف هو المدرسة الأولى لتربية الأطفال .

على أن هذا قد يكون " مباحا " إلى حد ما فى بعض الأسر الراقية التى تعمد فى تربية أولادها إلى تربية خاصة يتطلبها نوع حياتهم وضرورة مستقبلهم .

أما الذى لايطاق تحمله ولا يغتفر فهو ما يعمد إليه بعض الأسر المصرية التى لاهى بالراقية ولا بالمتوسطة إلى الحديث المنزلى وغير المنزلى بلغات اجنبية وهم عن ثقافتها أو إجادتها بعيدون، ومما يؤسف له أن هذا النوع فى البلد كثير وكثير ، هذه الأسر وأمثالها وباء خطير على المجتمع . . . إنهم يتحدثون بلغة غير لغتهم عامدين ، ويلهجون بغير لهجاتهم ساخرين ، وماهم فى هـذا وذاك إلا كالتراجمة المأجورين . . . فلا ثقافة ولا تهذيب .

ومن مظاهر تقليد هذه الأسر : الملابس والأصباغ والرقص :

تلبس الفتاة الأوربية الملابس القصيرة بأنواعها المختلفة ، وتلبس الفتاة المصرية كذلك تبعا لها وتمشيا مع روح التطور وهذا — ولا شك — لاغبار عليه .

إلا أن هـذا الزى للأوربية وسيلة لغـاية جيدة فهمتها واقتنعت بها فعملت لهـا ، تلك الغاية هى التخفف من تعقيد الملابس واللجوء إلى البساطة والسهولة والحصول على الجمال، وقد تحقق للفتاة الأوربية — فعلا — هذه الغايات ، فسهلت من حركاتها ، واقتصدت من وقتها .

أو كذلك الفتاة المصرية فيما تقلد . ؟ ؟

أظن — غير مبالغ فيما أظن — أن معظم فتياتنا لايفهمن الغاية من هذا التقليد سوى أنه تطور أوربى محبوب ، لذلك بالغن فى هـذا التقليد وأسرفن فيه فخرجن عن حدوده وأساءن استعماله ، وما ذاك إلا لأنهن يقلدن فحسب دون فهم أو استعداد نفسى لقبول هذا التطور ، ولكيلا يقال : إنهن متأخرات !

والأصباغ : طريقة صنع الأصباغ عند المرأة فن جميل له حدود وقواعد ، وله زمان ومناسبات والمرأة الأوربية تعرف كيف تنسق هذه الأصباغ على بشرة وجهها ، وتعرف متى تضعها ومتى لاتضعها ، وتدرك الغاية التى ترمى إليها فتحققها ، وأول هدف ترمى إليه فى تلك الغاية قلب زوجها . . !

والمرأة الشرقيـة قلدتها فى ذلك دون نزاع ، ولكنها تخلفت عنها كثيرا ، فبعضهن لايحسن وضع الأصباغ ولا يجدن تنسيقها ، فهى تشوه بها وجهها حيث تريد تجميله ، وهى تجهل مناسباتها وتغفل عن وقتها وتضل غايتها فتحمق .

فهذا تقليد أيضا غايته غير مفهومة ولا واضحة فى نفوس المقلدات ، ولو وضحت هذه الغاية فى نفوسهن لتحسنت السبل فى الوصول إليها .

والرقص : هذا تقليد عندنا ما كان أغنانا عنه . . !

فالمرأة الأوربية ترقص للرياضة والفرح ، فالرقص لديها كلعبة " التنس " أو السباحة أو القفز على ظهر جواد .

وطبيعتها الأولى فى التربية الاجتماعية وفى الوراثة تجعل مثل هـذا الرقص عندها أمرا عاديا لاشذوذ فيه، وذلك لأنها لم تمنع من الاختلاط طفلة وتلميذة فى المدرسة والجامعة وشابة فى المجتمع أو محل عملها ، فهى إذ تقبل على من يراقصها تقبل على مخلوق ألفته ورأته وحدثته وتفاهمت وإياه وتساوت به فى جميع مراحل حياتها ، فهو ليس غريبا عنها، كما أنها ليست غريبة عنه ، فكلاهما للآخر زميل ، وزميل مألوف .

وتقلدها الفتاة المصرية فترقص ، وهنا تكفى الإشارة إلى حالة فتاة أطلقت من سجنها حديثا ، أو حطمت أغلالها فخرجت أول ماخرجت جائعة ظامئة لتلتقى بجنسها الآخر الممنوع عنها . . والمحجبة عنه . . !

فهذا تقليد أظن أننا لن نستسيغه لأن ظروفنا وطريقة تربيتنا وعلاقاتنا الاجتماعية لاتهيئانا له.

ونحن لانتهى عند التقليد الاجتماعى ، فنحن نقلد فى التعليم وفى الآداب والفنون .

وأعنى بالتقليد فى التعليم ماترسمه من خطط غيرنا فى مناهج التعليم وطرق دراستها ، ولقد كانت المناهج فى مدارس أوربا هدفنا الذى وجهنا إليه أنظارنا، ومنها وضعنا النظم، وعلى أساسها حددنا المناهج ونفذها المدرسون فى المدارس .

وبعض هذه المناهج أخذت أول ما أخذت على علاتها ، ونفذت هكذا بما فيها من عقبات اعترضت المعلمين فى طرائقهم واعترضت التلاميذ فى إدراكهم ومستقبلهم ، وماهى إلا صورة معدلة تعديلا طفيفا من المناهج فى أوربا .

إن اقتباس المناهج من مدارس الأمم الناهضة أمر لاغبار عليه على أن يؤخذ منها أحسنها ويترك ماسواه ، وعلى أن يراعى فى ذلك غاية التعليم فى البلدين وطبيعة العمران فيها ، فليس مايصلح من مناهج التعليم فى إقليم يصلح فى الآخر ، وليس استعداد التلاميذ فى بلد من حيث فطرتهم وذكاؤهم وميولهم مماثلا لغيره فى قطر غريب .

ولدينا تقليد فى الأدب والفنون يتطلب بحثا كبيرا لا أستطيعه فى هذا المقال .

من هذا العرض السريع تظهر بعض وجوه التقليد عندنا ، ويظهر ما نحن فيه فاشلون، وما نحن فيه بين بين ، وما نحن فيه مصيبون .

ولكننا فى التقليد الاجتماعى لازلنا نتخبط ، وما ذاك إلا لأننا قوم نقبل على التقليد إقبالا سريعا دون تأمل أو أناة، فكل جديد يبهرنا وكل بريق يخطف أبصارنا، وهذا عيبنا ؟

انما نستفيد من التقليد الاجتماعى خاصة إذا سرنا فيه بخطوات متئدة حتى تنضج معانيه فى نفوسنا ، وتتضح غايته فى عقولنا ، ومن نتائج التأنى فى التقليد أن يترك للنفوس فرصة من الزمن ترسب فيها المعلومات ، ويتسرب إليها الفهم رويدا رويدا فيتكون الاستعداد لقبول كل شىء جديد .

وهنا يكون للتقليد أثر محمود إذا كان ما نقلده من الصفات فى غيرنا أمرا طيبا ليس فيه مساس بقوميتنا أو كرامتنا ، وليس فيه خدش لأصول التربية السليمة والأخلاق .

أما التقليد الأعمى فهو المعول الهادم لكيان الأمة ، إنه يمحو الشخصية أو يرخصها ، وهو التيار الجارف فى محيط من الغواية والجهل لا شواطئ له ولا قرار .

أمامنا مثل عالية من الأمم التى نقلدها ، هذه المثل عملية محضة ، لها مساس بصميم الحياة القيمة .

أمامنا تقليدهم فى نظام المنزل ونظافته ، فى تنسيقه وتهذيبه وتزيينه بالأزهار ، فى ترتيب أثاثه وتجميل تحفه ، فى إشعاع الفرح فى جوانبه ، وبث النور والاشراق فى نواحيه ، فى جعله جنة تطمئن إليها النفس وتسكن فلا تملّه ، فى جعله واحة وريفة يتضاءل أمامها كل مظهر خارجى من مظاهر المقاهى والمنتديات التى يهرب اليها من فقدوا فى منازلهم لذة الفرح ونشوة السرور .

أمامنا تقليدهم فى تربية الأطفال ، فى نظافتهم وتنظيم طعامهم وأوقات نومهم ، فى فصل أوقات لعبهم عن أوقات عملهم ، فى القسوة عليهم حيث تجب القسوة والحنان حيث يجب الحنان ، فى الوقوف على حركاتهم وسكناتهم ، فى تلقينهم مبادئ التربية النافعة ، فى الأحاديث والقصص ، فى رعايتهم والاهتمام بهم .

أمامنا تقليدهم فى المعاملة بين الزوج وزوجه ، فى كيف تحبب الزوجة اليها زوجها فى الشعور بواجبه عليها ، وكيف تحترمه وتعينه وتؤيده وتخلص له .

وفى كيف يعنى الرجل بزوجته فيرعاها ويحترمها ويحتفظ بحقها ويعترف بكيانها ويثبت وجودها بالمشاركة والمشورة .

أمامنا تقليدهم فى الاعتماد على النفس ، والاقدام على العمل ، واستساغة الشدة ، والاستهانة بالصعاب والأسفار والاغتراب .

أمامنا تقليدهم فى احترام الواجب والتعفف عن الاستطلاع والإيجاز فى الكلام والاستقلال الشخصى .

أمامنا تقليدهم فى الاحتفاء بالأعياد والمواسم ، واستقبال السرور والاهتمام به ، والعناية بالفرح واظهار علائمه ، وتوطيد الروابط بين أفراد الأسرة بما يكون بينهم من مجاملات فى المناسبات والأعياد .

أمامنا تقليدهم فى نظمهم الاقتصادية والتجارية ، فهم يعرفون كيف يستثمرون أموالهم ويروجون بضائعهم بأساليبهم الحديثة المغرية ، وطرقهم الجديدة الأنيقة ، فهذا كله تقليد عملى ، والتقليد العملى مجد لكل أمة ناهضة ما

فايد العمروسى

الروح العملية عند الفرد والمجتمع

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف العمومية

من الناس قوم يسرفون فى التفاؤل إسرافا كبيرا ويغالون فيه إلى حد كبير ، فيبعدون بهذه النزعة بعدا عظيما عن الحقيقة والواقع . يحلقون فى سماء الخيال ، ويطيرون فى فضاء الأحلام ، ويخلقون لأنفسهم دنيا غير هذه الدنيا ، وعالما غير هذا العالم ويشعرون شعورا غريبا ، ويدركون الحياة إدراكا خاطئا .

ومنهم قوم يسرفون فى التشاؤم إسرافا يقصيهم كذلك عن الحقيقة والواقع : يرون — لمرض نفوسهم — أشياء لا وجود لها فى الخارج ، وينكرون — لمرض عقولهم — أشياء موجودة محسوسة لا ينكرها عاقل . تبدو الحياة أمامهم كأنها مغطاة بكثيف من الضباب ، فيعيشون فى جو مظلم عازل عن العالم الخارجى ، وينكرون ما حولهم حتى أصواتهم وذوات نفوسهم ، تضطرب إحساساتهم ، ويضطرب إدراكهم ، وتهيج حواسهم تهيجا يؤذيها ، ويبعدها عن الإحساس الصادق بقدر ما يدنيها من الإحساسات الكاذبة .

وأنقل إليكم عبارة قالها أحد هؤلاء المرضى الواهمين الذين اضطربت حواسهم وعقولهم فى إدراك الحقيقة ، قال :

"لا فائدة فى العيش : كل ما حولى ميت . ولقد قبرت ، وأصبحت لا أحس بالحياة . وكل ما حولى خلاء ، وسواد فى سواد . لا أجد فيها من الأحياء . وإننى أحس أننى ميت بين الاموات" .

فالذى يشتد تفاؤله وتكثر أمانيه يسمى حالما . والذى تشتد تشاؤمه إلى درجة الاضطراب يسمى واهما . وكلاهما بعيد عن الحياة الحقة ، ولا يصلح لها .

وبيان ذلك أن الخيال المطلق يؤدى إلى أحلام اليقظة : وهى الأمانى البعيدة المنال التى يتخيلها الخيال المفسود بأنها قريبة دانية القطوف محققة الثمرات .

يجلس صاحب هذا الخيال جلسة هادئة فى مكان قصى بعيد عن الضوضاء والجلبة ، وسرعان ما تتوارد على ذهنه الخواطر المتشعبة ، والأفكار المتواثبة ، فيناجى نفسه ، وتناجيه نفسه بأشهى الأحاديث ، وأعذب الأمانى والأحلام ، ويحاوله ويطيب أن يختلس جانبا من أوقات فراغه ، ليرضى لذته العقلية بالعكوف على ألوان من التمنيات البراقة ؛ ثم يصمت عن كلام الناس إلى كلام نفسه ، ويغمض عينيه إغماضة حقيقية حتى يداعبها الكرى فى رفق ولطف ، ويسترسل فى تفكيراته الحرة وذكرياته العليقة ، فتجىء الفكرة تتبعها الفكرة ،

والخاطرة تتلوها الخاطرة ، وينتق خياله أروع الصور وأجملها ، ويضع التصميم الخيالى للحياة الخيالية المستقبلة ، وهى حياة خيالية براقة لماعة ، فيحبها ويعشقها وينسى بها الماضى والحاضر والحقيقة الراهنة .

وأكثر ما يكون هذا النوع من الخيال والأحلام حينما يصطدم المرء بصخرة الواقع ويجد أنها لا تتكسر ولا تلين ، ويرى الحياة جافة قاسية لا رحمة فيها ولا شفقة ، ويشعر بأنه محروم من متع الدنيا ولذاتها ، فيلجأ إلى هذه الأحلام اللذيذة " أحلام اليقظة " التى تسرى عنه همومه ، وتفرج كروبه ، وتنسيه آلامه . فما أشبهها بمناظر السينما يطرب لها المرء ، وما أشبهها بالدمعة يرسلها الحزين فيتسلى عن حزنه ، والمريض فلا يحس بمرضه ، والفقير فيتأسى ويتصبر .

فمن رزئ فى ماله بخسارة فادحة وضاقت به سبل العيش وجد فى طبيعة نفسه ما ينسيه مصائب نكبته ؛ تأتيه أحلام الخيال فيرى بعين خياله لا بعين تفكيره كنوزا أمامه لا تنفد ، وذخائر من الذهب والفضة لا تفنى . ومن ثم يتمادى فى أحلامه ويبعد بها عن عالم الحقيقة ليحيا حياة خيالية ، يخلقها له خياله ، ويكونها له طبعه ومزاجه . ألا إن الركون الى هذه الأحلام باستمرار ، يجعل المرء نائما حالما غير عملى ، لا يفيق من نومه إلا عند ما يستيقظ من غفوته ، وتتبدد أحلامه أمام الحقائق الواقعة كما تتبدد السحابة المثقلة بالماء أمام حرارة الشمس المحرقة فتترك وراءها فضاء خاليا . ويكون مثله كمثل الرجل الذى اشترى رطلا من السمن ووضعه فى جرة علقها على حائط ، ثم جلس بجوارها وأخذ يجول بخياله وأحلامه فيما عسى أن يأتى من وراء ذلك من خير وافر ، فخال يخاطره جولة سريعة وتخيل أنه سيبيع هذا السمن ويشترى بثمنه أشياء تنمو بمرور الزمن إلى أن يقدره ذلك على شراء أرض تنبت الغلات فيغتنى ويتزوج ويعقب نسلا وذرية ، ثم يطفر بخياله إلى تربية ابنه الذى يخلفه من بعده تربية صالحة ويعوده الطاعة والامتثال ، فان عصاه ضربه بعصاه هكذا وأشار بعكازه على الجرة فكسرها ، ووقع السمن على رأسه وسال على ملابسه : فأفاق من بعد ذلك من أحلامه ووجد نفسه لا يملك إلا الجرة المكسورة .

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع لأولئك الذين يطلقون العنان لأخيلتهم فتجيئهم الأمانى الحلوة المسولة فيستمرئونها ويقنعون بها ولا يعملون عملا جديا مثمرا .

فى هذه الأحلام يتحرر المرء من كل قيد ، ويسبح فى الفضاء محلقا فى الهواء ليكون حرا طليقا غير خاضع إلا لآماله الكاذبة وأمانيه التى لا حد لها ولا نهاية : يبنى قصورا فى الهواء ، ويتصور أن السراب هو الماء ، ويتخيل لنفسه مستقبلا باهرا وحياة أسعد من حياته الحاضرة .

وهذه الأحلام تكون مقبولة إذا لم يسترسل فيها المرء استرسالا يبعده عن الواقع لأن فيها لذة خيالية يتململ بها المكدود المرهق .

ولهذا قال الطغرائى :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

أما إن أطاع المرء هوى خياله المطلق إطاعة تجعله حالما دائما كان ذلك دلالة على مرض فى النفس وضلال فى العقل . فالتمنى إن جلب سلوة وعزاء فان يجلب غنى وثراء :

إذا تمنيت بت الليـل مغتبطا إن المنى رأس أموال المفاليس

فان هذه الروح الخيالية تجعل صاحبها مستمرئا للراحة والكسل فلا ينشط لمثل ماينشط إليه العاملون ؛ ومن ثم لا يجنى سوى الخيبة والحرمان . كما قال أبو تمام :

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولا

أى أن من غلبت عليـه نزعة الأمانى الكاذبة والأحلام الباطلة يتجه اتجاها طائشا ، ويطمع فى غير مطمع ، ويرعى فى صحراء مقفرة لا تنبت شيئا فلا ينال مأربا ، ولا يحقق غرضا ويعيش من أجل هذا هزيلا مهزوما ، وهذا هو المرض بعينه .

وكما أن الخيال المطلق يؤدى إلى الأحلام المعسولة لدى المتفائلين ، كذلك يؤدى إلى الأوهام المفسودة لدى المتشائمين .

وهذه الأوهام تنشأ عن الذعر والرعب والخوف الشديد ؛ ومن الحذر وتوقع الخطر ، ومن القلق على المستقبل ، ومن الحزن والغم ، والحسرة والشجن ومن الغيظ وإطالة الندم . فهذه الآفات تدخل على القـلوب كما تدخل السموم فى الدماء فتفسدها وتعطل وظائفها وتجعل العقل فى اضطراب وفوضى وتولد فى النفس الوساوس المؤلمـة والأوهام المزعجة . وهذه الأوهام تصور للانسان حياته فى صورة بشعة مستكرهة . فيتخيل الأرض حزينة والسماء كئيبة ، والفضاء ضيقا ، والنور ظلاما ، والحياة موتا ، ويتوهم الباطل حقا والحق باطلا ؛ فان سار ففى تباطؤ ، وإن سعى ففى غير قوة ومن غير رغبـة ، وإن زاحم ففى اضطراب وارتباك وضعف ، يؤثر أن يجلس معتزلا العالم غارقا فى نفسه ، فيرى كأنما يحمل عبئا ثقيلا ينوء بحمله ، وكأنما يتذوق من الحياة مرارتها فلا يعرف لها عذوبتها .

وقد يلقى هـذا المسكين المريض من عنت الحياة ومن غلظة الناس وقسوتهم ما يزيد مرضه ويضاعف وهمه فيعتقد أن الكون بما فيه يناوئه ويعاديه ، وأن العالم كله يتربص به الدوائر ، فتشتد مخاوفه ، وتضعف إرادته ، ويسوء تفكيره ويفسـد حاله ، ويصبح متشائما ممعنا فى التشاؤم . لا يثق بأحد ، ولا يطمئن إلى أحد ، وقد ينقطع بسبب ذلك عن العمل كما ينقطع عن المجتمع انقطاع اليائس المحسور ، فيخمد نشاطه وتضعف صحته ، وتضطرب أعصابه ، وهذا هو الضرر الخلقى والنقص العقلى .

والأمم كالأفراد : فهناك أمة تعيش فى الأحلام والأمانى وتود لو تكون سيدة الأمم ، ثم لا تعمل عملا ، ولا تبتكر شيئا ، ولا تخطو فى ميادين الكفاح ، ولا تنزل إلى ساحات المنافسة ، ولا تشق طريقها فى أية ناحية من نواحى الحياة العمرانية والاقتصادية .

هـذه أمة يبتليها الله برجال يكثر قولهم ويقل عملهم ، فيظهر فيها الثرثارون والأدعياء المتافقون الذين يزخرفون القول ، ويسيئون الفعـل . إنهم يستولون بخطبهم ووعودهم على مشاعر أمتهم ، ويمنونها بالأمانى الكاذبة وهم يعلمون حقا أنهم كاذبون مخادعون ، ولكنهم يستغلون بساطة العقلية وسذاجة الأمة وانقيادها لهم فى دعة وتواضع فيلوحون لهـا بالوعود الخلابة فى غضون خطبهم الرنانة ، وأشعارهم الساحرة ، وأقوالهم الباهرة وكتاباتهم الناتئة . وبذلك يقودونها إلى أودية الخيال والأحلام .

وهناك أمة قد خيم عليها الخوف ، لضعف إيمانها ، وفساد عقيدتها ، وقلة اطمئنانها ، فتعيش واهمة فى خيال الوهم ، وتحيا فى ميادين الخرافات والأراجيف وتخشى أن تنـازل غيرها من الأمم فتعيش منكمشة وجلة ، قلبها راجف ، وبصرها خاشع ثم لا تعمل عملا ، ولا تقوم بمشروع ينفع فى استقلالها أو يرفع من شخصيتها وكرامتها أو يدفع عنها أذى العدوان . وهذه الأمة يبتليها الله بالمستبدين الذين يستغلون فيها غريزة الخوف ، فيستعبدونها ويستولون على مرافقها ومنافذ وجودها وهى لا تحس لذلك ألمـا .

إنما الأمة التى كتب لها البقاء والفلاح هى تلك الأمة التى تتمتع بروح عملية وتعيش فى اتزان وهدوء ، تفكير سديد ، وعقل رشيد ، وإرادة قوية ، فيكثر فيها المصلحون العمليون أولو الإرادة القوية والعزيمة المـاضية : يضعون المشروعات العملية التى يمكن تنفيذها ، ويبعدون عن المشروعات الخيالية والوعود الوهمية التى لا تجدى شيئا ولا تحقق مأربا .

وهؤلاء قدوة للناس ، تسرى منهم الروح العملية إلى نفوس الأفراد وهؤلاء يحاكونهم فيحبون العمل ، ويرون فيه السعادة ولا يجرون وراء الخيال البعيد بل يعتمدون على أنفسهم وسواعدهم فى قضاء حاجاتهم ومصالحهم ، وفى إصلاح شؤونهم الخلقية والاجتماعية والاقتصادية من غير فتور أو تراخ .

فمـا طاب المعيشـــة بالتمنى ولكن أتق دلوك فى الدلاء

ألا إن روح الجد هى روح العمل ومفتاح السعادة ، وإن روح الهزل والأمانى هى روح الكسل ومفتاح البطالة والفشل .

وفق الله أمتنا المحبوبة إلى عمل الخير ، وخير العمل .

محمد أبو بكر ابراهيم *
المفتش بوزارة المعارف

الرسالة الحقيقية للمرأة

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

لا شك أن رسالة المرأة الحقيقية فى الحياة هى أن تكون عضوا نافعا فى المجتمع ، تعمل على رقيه والسمو به عن طريق وظيفتها الطبيعية المقدسة ، وظيفة الأم وسيدة المنزل . وليست دائرة المنزل صغيرة كما يتصور البعض، فهى رحبة متشعبة لها خطورتها ومسئولياتها التى لا يتحمل أعباءها غير المرأة ، ولا يدير دفتها الفنية غير يد المرأة .

وكما أن الرجل على قوته أجهل الناس بالقيام بأعباء المسئولية الداخلية لدائرة المنزل ، فالمرأة على ضعفها أعرف الناس بتسييرها وحسن إدارتها بطريقة سهلة رسمتها لها طبيعتها الأنثوية الرقيقة .

وبديهى أن المرأة لو تخلت عن تلك الوظيفة التى هى حق لها ولا دخل فيها لأحد سواها ، لصار مصير الأسرة حتما إلى الفشل والتفكك ، ومتى تهدمت الأسرة انهار الأساس ، ولا يمكن عندئذ أن يستقيم للأمة عماد إذا فقدت أساسها الذى تعتمد عليه فى بناء مجدها . فالأسرة هى أساس المجتمع ، وهى الوحدة التى يتكون من مجموعها بناء الجيل ، فإذا تصدع ركن من بناء الوحدة تداعى البناء كله ، وانهار المجتمع .

وإذا كان بعض النساء يزاحمن الرجال الآن فى ميادين الأعمال ، فهن أعرف من غيرهن بأنهن يغالطن طبيعتهن ، وأنهن يقفن بها موقفا عكسيا . فلا شك أن طبيعة المرأة ورقتها أكبر دليل على أنها لم تخلق للنضال فى ميادين الأعمال الشاقة التى تتطلب مجهودا قاسيا لا يتحمله غير الرجل ، ونضالا جبارا لا يقوى عليه سوى الرجل .

ومن الغريب حقا أننا لا نزال نتخبط فى حقيقة رسالة المرأة ، وأن تجهل المرأة نفسها حقيقة هذه الرسالة ، فتراها قد تركت طريقها الطبيعى المعبد إلى طريق آخر شائك ليس لها ولن تكون له إلا إذا فقدت أنوثتها وصارت امرأة مسترجلة لا تنتسب لأحد الجنسين .

ولا غرو فى أن هذا النوع من النساء قد أساء إلى المرأة المثقفة اساءة تركت المجال مفتوحا أمام أعداء المرأة لمحاربتها وانتقاص أعمالها، والتنديد بعدم صلاحيتها لادارة شؤون المنزل .

* * *

قرأت ما كتبته إحدى المجلات تحت عنوان "المرأة ، وهل تحكم العالم" فدهشت لمجرد السؤال ، لأن المرأة وإن كانت تحكم عالمها المنزلى الصغير بدقة وبراعة، فالتاريخ يحدثنا بأنها قد فشلت دائما فى توليها حكم البلاد ، وأنها كانت دائما امرأة أولا وأخيرا قبل أن تكون ملكة وحاكمة . ومن ذلك نرى أن مجرد هذا السؤال كان قفزة خطرة إذ هو تفكير فى أمر بعيد الاحتمال .

ولهذه المناسبة ، مناسبة تعليم المرأة ، أقول إن الكثير من الرجال والنساء ، يفهمون التعليم والثقافة على أنهما وسيلة من وسائل العيش ، فيتعلمون لنيل الشهادة فقط . وبعد أن ينال الواحد أو الواحدة شهادته التى يتذرع بها لنيل الوظيفة ، قلما نراه مهتما بزيادة معلوماته أو التوسع فى ثقافته .

ومن هذا فهم الجميع أن التعليم هو سلم لنيل الشهادة أو على الأصح للحصول على الوظيفة، وسرى هذا الاعتقاد إلى المرأة فرأت هى الأخرى أنه لابد لها من الوظيفة أيضا كى تثبت للرجل أنها تقف منه على قدم المساواة .

إن الثقافة كما يجب أن نفهمها جميعا غاية نفسها ، وليست الشهادة إلا كنشان معنوى يكافأ به المجتهد ، ولكنها ليست الغاية التى نسعى إليها بالتعليم . فالغاية من التعليم هى المعرفة أولا وآخرا ، والمعرفة وحدها هى الشهادة الصحيحة والتاج المرصع بأجمل الأحجار الكريمة ، فإذا لم نستطع أن نضيف إلى التاج ثمرة بحثنا وتنقيبنا من نفائس الأحجار ، فعلى الأقل يجب أن نحتفظ بأحجاره حتى لا تغير عليه أحداث السنين .

فإذا تعلم الرجل فإنما للعلم ذاته ، وإذا تثقفت المرأة فإنما للثقافة ذاتها ، أما وظيفته أو وظيفتها فى المجتمع ، فكل لما خلق له ، وكل لما يؤهله له استعداده وميوله الطبيعية .

فتعليم المرأة ليس إلا نورا يهديها إلى طريق وظيفتها الصحيحة فى الحياة ، وهو الذى يؤهلها لأن تكون فردا عليه واجب من اسمى الواجبات وأقدسها .

* * *

وقد قرأت عن الملكة فكتوريا ملكة الانجليز أنها اشتهرت برقة الفؤاد وشدة الشفقة على عائلتها ، وقد أحبت زوجها الأمير " البرت " وعرفت له حقوق الزوج على زوجته ، وكانت فى حياتها معه لاترى فى نفسها إلا زوجة بارة لا ملكة قوية السلطان . ومما يحكى عنها أنها أرادت مرة أن تدخل على زوجها فى مكتبه حيث كان مشتغلا بالمطالعة ، فضربت الباب بيدها ، فسأل : من بالباب ؟ فقالت "ملكة انجلترا" . فلم يرد عليها . فعاودت قرع الباب ، فكرر السؤال : من بالباب ؟ . فأجابت " زوجتك " . ففتح لها الباب وقال مبتسما : " إنى أعرف أن زوجتى فى بيتى . لكنى لا أعرف أن ملكة انجلترا فيه" .

وهذا خير مثال يقدم للمرأة . فإن زوج أعظم ملكة فى العالم لم يرلها فى منزله إلا منزلة الزوجة من الرجل وهى لم ترفى نفسها إلا ذلك

ويحضرنى الآن موضوع اعترضنى الأسبوع الماضى ، فقد عرضت على إحدى الجمعيات أن ألقى محاضرة فى موضوع : "المرأة وعضوية البرلمان" وأن أحبذ هذا الموضوع وأطالب للمرأة بهذا الحق ، فلم أتمالك ساعتها من الابتسام ساخرة ، وقلت فى نفسى : إذا كانت المرأة ستكون عضوا فى البرلمان أيضا ، فما الذى سيؤول اليه حال الرجل ياترى ؟ . لابد إذن أن تنقلب الأوضاع وتمحى صفة رب الأسرة من الرجل فيختص بشؤون البيت ، ويلاحظ الخدم ، ويشرف على شؤون المطبخ وإطعام الأولاد وتربيتهم ، ويتولى بأمر تدبير المنزل ! ! . .

لعمرى أن مجرد التفكير فى مثل هذا الموضوع جناية فى حق المجتمع ، وتغيير للأوضاع وقلب للحقائق المجردة . فإذا جاز لنا أن نتسامح فى اشتغال المرأة بمهنة الطبيبة والممرضة والمطرزة ، لما تتطلبه تلك المهن من صفات لا تتوافر إلا فى المرأة ، فلا يمكن أن نستسيغ مطلقا أن نراها عضوا فى مجلس البرلمان .

وإن كنا قد تقدمنا مرحلة كبيرة فى طريق الحرية والسفور ، فلا يمكن أن يكون هذا دافعا لنا على الطغيان والاستبداد ، أما إذا كان اعتقاد المرأة بأنها قد ظلمت فى العصور الغابرة على يد الرجل قد سول لها الانتقام من الرجل ومنافسته فى رزقه ، فبئس الانتقام .

وإذا علمنا أن كل وظيفة تشغلها امرأة تقفل بيتا وتهدم أسرة ، عرفنا مقدار جناية المرأة الموظفة على المجتمع ، فهى بجنايتها المزدوجة تسىء إلى الرجل وإلى نفسها . فبينما تزاحم الرجل

فى أبواب رزقه نراها تهدم نفسها بنفسها ، فان كانت فتاة قد أضلتها شراهة المال ، فهى تقدم فى سبيل هذا المال أنوثتها وشبابها قربانا ، ولا تلبث أن تصير عاننا منبوذة من الجميع ، فتندم حيث لا ينفع الندم ، وإن كانت متزوجة فهى تبنى حجرا لتهدم بنيانا كاملا ، وهذا حق لا ريب فيه ، فمنزل المرأة الموظفة الذى تلعب الفوضى فى أنحائه ، ويسوده الظلام ويشمله الإهمال ، وينعدم فيه الذوق الفنى وهو ثمرة المعرفة والثقافة والتهذيب هو منزل مصيره الى الانهيار .

ولست أفهم أن تترك المرأة منزلها وأولادها فى رعاية الخدم يتطيعون بطبائعهم الوضيعة وميولهم المنحطة ، فيشبون عليها ، ويتخلقون بها ، كى تذهب هى الى عملها فى الديوان وتحصل بذلك على مرتب مهما ارتفع فهو لن يعوضها ما ستفقده فى تركها المنزل ماديا ومعنويا .

ولا يخفى علينا ما سينجم عن هذه الأوضاع المقلوبة وهذا الجبن الشنيع ، بفرار المرأة من مسئولية المنزل وتبعاته من أضرار خطيرة ، كما لا يخفى علينا شعور زوج الموظفة عندما يعود الى منزله بعد انتهائه من أعماله ، فلا يجد السعادة المنزلية التى كان يمكنه أن يجدها لو ازدان منزله بزوجة خيرة ، وربة بيت مثقفة حكيمة استطاعت باستقرارها أن تفيض على المنزل هدوءا وجمالا ، فضلا عن أن طبيعة الشرقى لا تتفق بحال مع هذا التطرف الممقوت . ولا يمكن أن يكون سعيدا ذلك الذى يعرف أن زوجته تقضى يومها بين هذا وذاك من الرجال ، حتى وان ادعى بعضهم ذلك . اللهم إلا إذا كان هذا الادعاء فى سبيل غرض مادى يخفى ما بينهما من حب مفقود .

وخلاصة القول : إن للمرأة رسالة سامية فى الحياة تجبرها الطبيعة على أدائها ، ويجبرها الوطن الذى أباح لها أن تتهذب وتتثقف كى تستغل تلك الثقافة وذلك التهذيب فى العمل على السمو بهذه الرسالة وإبرازها فى أكمل وجوهها .

ولعمرى لو علمت المرأة أن كنوز الأرض لا تساهل تخليها عن أنوثتها ، وابتعادها عن مملكتها الصغيرة ، لاستماتت فى الدفاع عن هذه المملكة ، وعملت على رقيها والسمو بها ، ولنشطت لاستكمال رسالتها العظيمة فى الحياة ، تلك الرسالة التى يتوقف عليها مصير البلاد وسعادة الأمم .

زينب محمد حسين

تغذية الطفل وفطامه

للدكتور مصطفى الديوانى

مدرس أمراض الأطفال بكلية الطب

إن المجهود الذى تبذله الأم أثناء الولادة لعظيم حقا . وهى متى سمعت صرخة طفلها حمدت الله على أنها قد أدت رسالة الأمومة بسلام . وهى متى انتهت من ذلك الصراع الأبدى بين الأم وحشاشتها ، وهو الصراع الذى يبدأ عند ما يصبح الجنين ضغثا ثقيلا على الأم ، فها هى قد حملته تسعة أشهر بين تألم وتضجر ، وهو قد استمرأ العيش السهل الهنئ يأتيه طعامه وشرابه وأوكسجين تنفسه وهو قابع فى هدوء بين جيوب من المياه تحميه من صدمات العالم الخارجى . أقول متى انتهى الصراع ولفظت الأم جنينها ليلعب دوره على مسرح الحياة شعرت المسكينة بانتهاك فى القوى واستسلمت لنوم عميق قد يتراوح بين ١٢ و ١٥ ساعة تصحو بعده وقد انتعشت قواها نوعا ومالت إلى طفلها تعطيه ثديها ليمتص منها ما أرسله الله له من رزق حلال . ولا عجب إذا نام الطفل أيضا طول هذه المدة على أثر المجهود الذى بذله فى سبيل الخروج إلى الدنيا .

واللبن الحقيق لا يفرز إلا فى اليوم الثالث أو الرابع . أما قبل ذلك فإن الأم تفرز من ثديها سائلا اسمه " اللباء " أو " الكولوسترم " . وهو الغذاء الوحيد للطفل فى أيامه الأولى ويجب أن يرضعه بانتظام لأنه ذو قيمة غذائية وله خواص ملينة فى الوقت نفسه تنبه أمعاء الطفل وتبدأ عادة التبرز . ولا يجوز إعطاء الطفل شيئا خلاف الندى خلال هذه المدة وإذا بكى يمكن إعطاؤه مقدارا من ماء البنسون أو الكراوية المحلى بالسكر وذلك عقب إعطائه الندى ليمتص ما فيه من غذاء . إذ من المعلوم أن تفريغ الثديين وامتصاصهما أكبر منبه لإفراز اللبن .

وكثيرا ما تنصح الحكيمة أو المولدة أو الجدة أو الحماة بإعطاء الطفل شرابا مسهلا مثل الشيكوريا أو زيت اللوز أو زيت الخروع . وأنا بدورى أنصح الأم بأن تتجنب كل هذا وتترك الطبيعة تجرى مجراها .

ويجب أن يرضع الطفل من البداية كل ٣ ساعات إبتداء من الساعة السادسة صباحا إلى الساعة التاسعة مساء ، فيكون عدد الرضعات ستا . وتعطى الأم ثديها الواحد بعد الآخر وتكون المدة لكل من الثديين خمس دقائق تزداد بعد اليوم الثالث أو الرابع عند ما يفرز اللبن

الحقيق إلى عشر دقائق لكل ثدى ، أما فى الحالات التى يكون الإفراز فيها غزيرا فقد يمكن لثدى واحد أن يفرز من لتر إلى لتر ونصف من اللبن وهذا كاف لتغذية الطفل ، ويكتفى بثدى واحد لكل رضعة .

والحكمة فى جعل الفترة بين الرضعات ثلاث ساعات هى أن معدة الطفل تهضم اللبن وتصير خالية بعد ساعتين ونصف ، لذلك يجب أن تركها وقتا لتستريح قبل أن تبدأ فى هضم الرضعة التالية .

ولا يرضع الطفل أثناء الليل إلا إذا كان مصابا بالضعف الخلقى ، أو ولدا ضعيفا . أما إذا كان صحيحا فانه ينام ساعات الليل بدون رضاعة ، واذا استيقظ وأخذ فى البكاء فلا بأس من إسكاته باعطائه قليلا من مغلى اليانسون أو الكراوية الذى يستحسن أن يكون جاهزا فى (زمزمية) .

وكثيرا من الأمهات تأخذهن الشفقة على أطفالهن ، ويتركنهم نائمين إذا حل موعد الرضاعة ، لاعتقادهن أن النوم يفيدهم أكثر من الغذاء وهـذا زعم خاطئ بطبيعة الحال إذ يجب على الأم أن توقظ طفلها بلطف كلما حان الميعاد وبذلك يعتاد الاستيقاظ بانتظام من تلقاء نفسه ، وإذا نام أثناء الرضاعة فعلى الأم تنبيهه بأن تداعب خده أو ذقنه بلطف .

وهناك احتياطات يجب أن تأخذها الأم عقب الرضاعة حتى تمنع القىء الذى كثيرا مايحدث فى الأطفال. أولها أن تحمله عموديا على كتفها أو تجلسه على ركبتيها وتربت على ظهره برفق حتى يتجشأ (يتكرع) . وثالثها ألا تهزه (تهشكه) بل تضعه برفق فى سريره . وكثيرا ما يكون هز الطفل وتدليله عقب الرضاعة سببا فى مرض مستعص لا يزول إلا باكتشاف السبب والعمل على تجنبه .

موانع الرضاعة واختيار المرضع :

إن لبن الثدى أصلح غذاء للطفل الرضيع وهو رزق حلال أرسله الله ، وهو وديعة فى عنق الأم نحو طفلها ، فيجب عليها أن ترضعه إياه ، ولا يمنعها من ذلك إلا إصابتها بمرض معد كالسل الرئوى أو بإحد الأمراض المعدية الحادة كالتيفود والدفتريا والالتهاب الرئوى ، أو أن تكون مصابة بمرض يقلل من قواها الحيوية فلا تقوى على إفراز اللبن كالسرطان وحالات فقر الدم الشديد والبول السكرى وأمراض الكبد والكلى المزمنة . أو أن يكون فى وجود طفلها خطر على حياته كأن تكون مصابة بالصرع أوالهستريا أوالجنون ففى مثل هـذه الحالات يجب الاستعانة بمرضع ، ويلاحظ فى انتخابها بوجه عام أن تكون خالية من الأمراض الجلدية المعدية والرمد الحبيبى والسل والزهرى والسيلان ، وأن يكون سنها بين ٢٠ و ٣٠ سنة ، وألا يزيد الفرق بين عمر الطفل وعمر لبن المرضع عن ثلاثة الى ستة شهور .

وأضبط قياس لصلاحية المرضع هو طفلها الذى كانت ترضعه . فإذا كان حيا وجب فحصه لمعرفة حالته الصحية . وإلا فالقياس الصحيح لصلاحية المرضع أن يكون بتجربتها وملاحظة وزن الطفل الذى تقوم بارضاعه بعد أسبوع فاذا زاد وزنه ١٥٠ جراما دل ذلك على صلاحية المرضع . أما فحص اللبن كيائيا فليس له قيمة حقيقية إذ المعروف أن تركيب لبن الثدى لا يتغير ، وان الذى يتغير هو الكمية وهذه قد يطرأ عليها تغييرات كثيرة من يوم لآخر وحتى فى اليوم الواحد .

واذا لم يتيسر الحصول على مرضعة أمكن استعمال لبن الجاموس أو البقر سواء الطازج (اللبن الحليب) أو المجفف (لبن العاب) ويخفف اللبن الحليب فى الستة الشهور الأولى الى النصف ومن الشهر السابع الى التاسع يضاف اليه ماء بنسبة الثلث فقط ، أما بعد الشهر التاسع فيمكن للطفل أن يأخذ اللبن الحليب كما هو بدون تخفيف .

هل يمكن للأم الحامل أن ترضع طفلها :

هناك اعتقاد خاطئ شائع وهو أن لبن الأم الحامل يقل أو يجف أو يصبح سما للطفل . والواقع غير ذلك ، إذ أن الأم الحامل يمكنها الاستمرار فى إرضاع طفلها لغاية الشهر السادس أو السابع ما دامت صحتها وصحة طفلها جيدتين وإذا كان الطفل ضعيفا أو الجو حارا فيجب الاستمرار فى الرضاعة الى أقصى حد ممكن ما دامت حالة الطفل ونموه وصحة والدته تشجع على ذلك . أما إذا كانت الأم ضعيفة ولبنها غير كاف لتغذية الطفل فيمكن بدء الفطام فى الشهر الرابع أو الخامس .

الفطام :

الفطام على نوعين مبكر وهو الذى يلجأ اليه إذا أصيبت الأم بأحد الأمراض الحادة المعدية كالتيفود والالتهاب الرئوى وحمى النفاس أو الأمراض المزمنة المنهكة كالسل وفقر الدم الشديد وأمراض القلب والكلى ... الخ وفطام طبيعى وهو الذى يتم فى نهاية السنة الأولى من عمر الطفل . ويجب ألا يتم فى شهور الصيف ولو اقتضى ذلك مد مدة الرضاعة الى الشهر الخامس عشر أو السادس عشر ، كذلك يجب تجنبه اذا أصيب الطفل بأمراض الجهاز الهضمى كالقىء والإسهال ، أو اذا كان فى دور النقاهة من أى مرض من الأمراض.

ويجب أن يكون الفطام تدريجيا حتى إذا كان سن الطفل كبيرا . وفى العادة يبدأ باستبدال رضعه من لبن الأم حوالى الشهر السابع بمهلبية تعمل من ملء فنجانين قهوة لبنا حليبا ومثلهما ماء ، وملعقة كبيرة من الأرز المدقوق ومعلقتين صغيرتين من السكر ، ويغلى جيدا على النار ويعطى للطفل بالملعقة . وقد يرفض الطفل فى أول الأمر أى طعام غير سائل

وفى مثل هذه الحالة تعمل المهلبية خفيفة بحيث يسهل أعطاؤها فى زجاجة الرضاعة ، وذلك باضافة ملعقة صغيرة من الأرز المدقوق الى اللبن ، ثم تزداد تخانتها تدريجيا .

وفى الشهر الثامن تستبدل رضعة أخرى بحساء (شوربة) خضروات تعمل بغلى وهرس بعض الخضروات والبقول كالبطاطس والكوسة والبسلة والعدس والسباغ لمدة ساعتين ثم يصفى المغلى فى منخل سلك رفيع وتعطى الشوربة للطفل بملح الطعام أو السكر حسب رغبته.

و بعد ذلك تستبدل كل أسبوع أو ثلاثة رضعة بتغذية صناعية كاللبن الحليب المخفف بمقدار الثلث بماء الكراوية أو اليانسون أو بماء الحلبة. وفى الوقت نفسه تدخل عناصر جديدة فى غذاء الطفل . ففى الشهر العاشر يمكن إعطاء الطفل صفار بيضة يوما بعد يوم مع تغذية الصباح ، وكذلك البطاطس المذهوك (بوريه) والفاكهة الناضجة مثل الموز والكمثرى وفى الشهر الثانى عشر يمكن إضافة الأرز أو الشعرية فى حساء الخضروات وتعطى كبد الطيور بعد دهكها . وفى أوائل السنة الثانية (أى من الشهر الثالث عشر الى الخامس عشر) يعطى الطفل السمك المسلوق واللحوم والمخ المسلوق وتكون فى أول الأمر مفرومة أو مقطعة قطعا صغيرة وتزداد الفترة بين الأكلات الى أربع ساعات ابتداء من الشهر العاشر من سن الطفل فيكون بذلك عدد الأكلات خمسا بدل ست.ثم ينقص الى أربع فى آخر العام الأول.

ويحدث كثيرا أن يصاب الطفل فى مبدأ الفطام بمغص أوقىء أو إسهال نتيجة الإكثار من المواد النشوية كالأرز والمهلبية والشعرية والمكرونة والبطاطس فعلى الأم ألا تسمح لطفلها الا بقدر معقول منها .

ولكى ينفر الطفل من الثدى فى أيام الفطام يمكن وضع مادة مرة على الحلمة مثل الصبر أو المر أو الكينا وتخرج الطفل كثيرا من المنزل حتى تلهيه عن أمه ومرضعته .

نماذج الأغذية للأطفال

من الشهر العاشر إلى الثانى عشر :

الساعة ٦ صباحا : رضاعة من الأم أو لبن مخفف بمقدار الثلث ماء الكراوية أو الشاى الخفيف .

الساعة ١٠ صباحا : مهلبية :

الساعة ٢ بعد الظهر : شوربة خضروات مخينة ، بطاطس بوريه ، فاكهة ناضجة مثل الموز والكمثرى الطرية أو التفاح المطبوخ .

الساعة ٦ مساء : مهلبية ثم قطعة من البسكويت أو التوست .

الساعة ١٠ مساء : رضاعة من الأم (يستغنى عنها تدريجيا) .

من الشهر الثالث عشر إلى الثامن عشر :

عند الاستيقاظ : ملء معلقة حلو من عصير الفواكه وقطعة من البسكويت .

الساعة ٨ صباحا : قول مدمس مقشور ومدهوك بالزبدة . صفار بيضة يوم بعد يوم (فى الشتاء فقط) شاى ولبن ملء (كوب) . جبن حلو أو قطعة من البسكويت عليها قليل من الزبدة والعسل أو المربى .

الساعة ١٢ ظهرا : شوربة خضروات مثخنة بالأرز أو الشعرية أو المكرونة ، كبدة طيور أو مخ أو سمك أو لحوم بيضاء أو حمراء مفرومة (حسب سن الطفل) خضارات مدهوكة (بوريه) كالبطاطس والبسلة والقلقاس واللوبيا . فاكهة ناضجة كالموز أو الكمثرى أو التفاح المطبوخ .

الساعة ٤ مساء : فى الشتاء يعطى لبن أو مهلبية وقطعة من البسكويت ومربى وموز وفى الصيف يستغنى بقدر الإمكان عن اللبن .

الساعة ٨ مساء : مثل أ ط الساعة ١٢ ظهرا ماعدا اللحوم فانها تعطى مرة واحدة فى اليوم .

مسموحات وممنوعات :

الحلوى والمسكرات كالشكولاتة والكاملة — يسمح بإعطائها فقط بعد الأكل لأنها تفسد الشهية إذا أخذت قبل الأكل بقليل .

اللبن الزبادى — يستحسن تجنبه كغذاء للأطفال لأن طريقة تحضيره تجعله عرضة للتلوث بالجراثيم التى قد تسبب أمراضا خطيرة .

مأكولات محرمة :

المخللات بأنواعها ، الفسيخ ، اللحوم والأسماك المقددة والمحفوظة فى العلب ، الجبن المحفوظة والمملحة ، البهارات بأنواعها ومن الفواكه الممنوعة : البلح والخيار ما

دكتور

مصطفى الديوانى

مجانية التعليم
من طبيعة الديمقراطية الصحيحة

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد
المحقق القضائى بالآثار

من الأصول الديمقراطية أن تفرض المساواة بين الناس أجمعين . وليست المساواة التى تعنيها الديمقراطية الصحيحة هى المساواة أمام القانون فقط بل المساواة كذلك فى فرص الحياة و إزالة القيود التى تحد جهود الأفراد فى الانتفاع بهذه الفرص .

والقيود المادية المفروضة عندنا فى مصر ، تبعا لسياسة التعليم القائمة هى حائل بين أغلب الناس و بين تحقيق رغبتهم فى التزود من الثقافة ، التى تقضى الديمقراطية بحق المساواة بين الناس فى الأخذ منها بأوفر نصيب .

فكان طبيعيا ألا تقضى الديمقراطية الصحيحة بفرض مثل هذه القيود ، لأن فى فرضها منعا طبيعيا قاهرا لأكثر الناس من أن يتمتعوا بحق البشرية الكريمة فى هذا الزمان .

وكان طبيعيا أن تكون المساواة التى تعنيها الديمقراطية الصحيحة إذن هى المساواة فى الفرص للوصول إلى الغاية الكبرى من التعليم . فمن حق كل راغب فى العلم قادر ذهنيا عليه أن يتعلم ، ومن حقه أن يعلو فى سلم التعليم درجات بقدر ما تسمح له مقدرته الذهنية ، فانه بالتعليم وحده يمكن أن يشعر بقيمة بشريته وقيمة جهده فى كفاح الإنسانية ، وقيمة نصيبه الشائع فيما ينال فى هذا الوطن من حقوق وما يؤدى فيه من واجبات . و بغير هذا يكون المواطن المصرى عاجزا عن أن يتفهم كل هذا أو شيئا منه ، محروما عمليا من الاشتراك الفعلى فى التمتع بعضوية كريمة بين سائر أعضاء هذا المجموع .

يلزم إذن أن تتجه سياسة الدولة الديمقراطية إلى العمل لتمكين كل راغب فى العلم قادر ذهنيا عليه من أن يتعلم . ومن اللازم إذا أن يباح بالمجان للناس أجمعين قسط كاف من التعليم حتى يكونوا قادرين على الاشتراك اشتراكا عمليا منتجا — لهم وللمجموع — فى سلوك طريق الحضارة الحقة ، فى موكب البشرية الكريمة .

ومن اللازم أيضا — بعد هذا — أن يوجه الناس فى التعليم وجهة تتفق وعاملين أساسيين فى تكوين ثقافة الشعوب . العامل الأول الاستعداد الذاتى والرغبة الشخصية

الصحيحة لدى الإنسان ذاته . والعامل الثانى طبيعة الموطن وحاجات الحياة فيه ، لحاضره ومستقبله .

ويلزم ألا تقوم عقبات مادية أيضا فى سبيل توجيه سياسة التعليم هذا الاتجاه القويم ، فالأموال التى تتحملها الدولة اليوم — مهما بلغت من كثرة — لا تقاس بشىء إلى جانب الفائدة الكبرى التى يجنيها الوطن فى حاضره ومستقبله ، من إعداد شعبه هذا الإعداد الثقافى السليم .

إن الدولة لا تعجز — ويلزم ألا تكون عاجزة — عن أن توجد مورد المال الكافى لتحقيق هذا الحق الديمقراطى المشروع . لدى الدولة فى ميزانيتها أوجه للصرف كثيرة يمكن أن يلغى ما يعتمد لبعضها ولا تخسر الدولة شيئا ، ويمكن أن يخفض ما يعتمد للبعض الآخر ولا تخسر الدولة شيئا كذلك .

ولدى الدولة — فوق هذا — أبواب للإيراد مازالت موصدة لم تفتح بعد ، ولديها أبواب أخرى يمكن أن تعد كأنها ما زالت موصدة أيضا ، إذا قيس ما يجنى من هذه الأبواب نسبيا بما يجنى من مثلها فى غير مصر من سائر الدول الديمقراطية .

مصر فى حاجة إلى إصلاح وطنى كبير فى شتى مناحى الحياة . ومن حق القائمين بالأمر ومن وظيفتهم أن يصعدوا بها درجات إلى العلا والرقى . ومن حقهم ومن وظيفتهم أن يسلكوا للوصول إلى هذه الغاية كل طريق .

والذين هم فى حاجة اليوم إلى عون المجموع ليحصلوا على قسطهم الحق من التعليم ، لعجزهم عن دفع نفقاته ، هم أولئكم الذين يفيد الوطن من مساعدهم وعرفهم الفائدة الكبرى فليتحمل القادرون ما تتطلبه العدالة الاجتماعية لإنصاف هؤلاء الذين هم فى حاجة إلى عون المجموع ، جزاء طبيعيا عادلا لما يتحمله هؤلاء من أثقال وأعباء الحياة .

لقد طرب الناس كثيرا حين قرأوا : أن وزارة المعارف أخذت فى إعداد إحصاء بالمبالغ التى تحصل من مصروفات التلاميذ بالتعليم الابتدائى ، حتى إذا ما وجدت أن هذه المبالغ مما يمكن أن تتحمله مالية الوزارة تقدمت بطلب للحكومة وللبرلمان بالموافقة على جعل التعليم الابتدائى بالمجان .

طرب الناس كثيرا لهذا ، وتناقلوه ، وتبادلوا الأحاديث فيه كنبأ سار يهنىء الناس بعضهم بعضا على تحقيقه . لأنهم يشعرون فى أنفسهم بحقيقة الضيق المادى الذى يعانون ؛

ولأنهم يتوقون إلى ان يتعلموا ليعلموا فيعملوا عملا كريما يرفع من قدرهم فى الحياة ، ولأنهم يتحرقون شوقا إلى أن تكون نقابة أبلادهم أوفر نصيبا وأطيب حظا من ثقافتهم ، ليطمئنوا فى الحاضر على حياة كريمة فى مستقبل سعيد لهؤلاء الابناء ، ولأنهم يرون فى تحقيق هذا الرجاء اعترافا بقيمة جهودهم لخير المجموع ، وشيئا ذا قيمة من الإنصاف .

أرجو أن تكون مالية الوزارة مستطيعة أن تتحمل ما يقتضيه تنفيذ هذا المشروع من نفقات فان لم تكن مستطيعة فرجائى أن تكون ميزانية الدولة — بشىء من التعديل — قادرة على تحقيق هذا الأمل . و إذا كانت هذه كذلك عاجزة — بحالها المعدلة — عن أن تحققه فالرجاء الباقى عندى وعند الناس أجمعين ، هو أن تحقق هذه الوزارة هذه الأمنية لهذا الشعب بطريق تشريع ما يلزم من النظم المالية المدعمة لميزانية الدولة ، تلك النظم المعروفة المألوفة فى شتى الأنحاء ، والتى تحمل الناس من التكاليف بقدر ما يجنون فعلا من النفع .

ولتجعل لوزارة الناس — بهذه الخطوة المباركة فى تدعيم الديمقراطية الصحيحة — أكثر إيمانا بأن الديمقراطية المصرية هى وحدها القادرة على تحقيق آمال الشعب فى تيسير التعليم والتوسع فى نشره ؟

عماد الدين عبد الحميد

من كلام الإمام على

— إن المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ، ومن أعطاه فقد أعطى الله .

— ما المبتلى الذى قد اشتد به البلاء أحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء.

— مودة الآباء قرابة بين الأبناء ، والقرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة .

أثر الدعاية السليمة فى توجيه الشعوب

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الصاوى
المدرس بالجامعة الأزهرية

لعل من أكبر الدلائل على عظيم قدرة البارى و بديع صنعه أن خلق الناس من أب واحد وأم واحدة متحدين فى الصورة مختلفين فى المشارب والنزعات والميول والرغائب ، فلا تجد توافقا تاما بين شخصين أبدا حتى ولا بين الشقيقين ولو كانا توأمين .

وقضية هذا الاختلاف ذات أثر فعال فى أعمال الأفراد فكل فرد تواق إلى إشباع رغباته والاندفاع فى تحقيق موحيات نزعاته ، وعلى هذا الاختلاف ينشأ إلى حد كبير خلاف فى الأعمال العامة والاتجاهات المشتركة التى لا بد منها لحياة الفرد والجماعات ، والحياة لا بد لها من توحيد الاتجاه والعمل لتنفيذ الغرض المشترك السامى الذى لا بد منه لتقطع الإنسانية مراحل الحياة متماسكة متضامنة ضد عاديات الدهر وصروف الزمان .

فلذلك كان لا بد من قيادة رشيدة ، وإمامة حكيمة ، وزعامة مفكرة ، وكان الناس شديدى الحاجة إلى من يوحد اتجاهاتهم و يوفق بين رغباتهم فيحد من طغيان هذا ويزيد فى إحسان ذاك وهكذا يوجه الجميع وجهة سليمة صحيحة تهدف إلى الخير والسعادة ، وكان من اللازم كذلك أن يكون الموجه فردا ممتازا عن الناس بمواهب خاصة لا تتيسر لسواه من عامة الناس .

ولهذا فقط اختار الله للناس نبيا رسولا من نوع البشرية إلا أنه يمتاز بمواهب ممتازة : ولذلك كانت جميع دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان هؤلاء المرسلون دعاة من أفضل الدعاة الذين هذبوا الإنسانية وقادوها أحسن قيادة ووجهوها توجيها حسنا وساروا بها فى سبيل السعادة والسلام ، وكان فى الفترة بين الرسولين يتمخض الله أناسا من خيرة البشرية متحرسين بأساليب أولئك الأنبياء يقومون بتنفيذ رسالة الأنبياء يرشدون الناس إلى طريق الخير والسعادة ، ويحولون بينهم و بين الشرور والآثام .

والذى يعنينا من ذلك العرض العابر أن نبين أن دعوة الرسل كانت سليمة إلى أقصى حد فأثمرت أطيب الثمرات من تنسيق الحياة للناس وتهذيب الاجتماع وتعبيد الطريق لقافلة البشرية وقيادتها إلى سبل السلام وتكوين الجيل تكوينا إنشائيا يعمل فى غير ملل إلى الخير

والخير . و يحقق خلافة الله فى الأرض ... وتبين كذلك ان دعوة غير المرسلين أثمرت ثمرا من لون ما أثمرته دعوة الأنبياء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وليس أفضل أثرا من دعوة تيسر على الناس سبل العيش الرغيد ، وتمنع التشاحن والصدام ، وتقرر الأمان والطمأنينة فى حياة أولاد آدم وحواء .

و بحكم قضية الاختلاف بين أفراد الجماعة البشرية نرى أن الأمم تحتاج فى كل أطوار نهضاتها إلى دعاة مرشدين ، وقادة مصلحين ، لأن عقلية الجماعة دائما عقلية عامية سريعة اللفتات قليلة الانتباه لا تقف كثيرا عند فلسفة الوقائع ومنطقها ، ولا تدور معها تبحث وتحاول وتفتش وتنقب ، ومن هنا كانت الجماعة فى حاجة ماسة الى من يبحث فى فلسفة وقائعها ، ومنطق اتجاهاتها و يفرض ما لمقدمات نتائجها من خير وشر ، ثم يقدم إليها ذلك بعيدا عن تعقيد الفلسفة ودوران المنطق ، بل يتلمس إلى مستقر الهوى فى نفوس الناس كل سبيل لينفذ إليهم بهذه النتائج التى انتهى إليها فى يسر وسهولة .

و إذا كانت الأمم فى كل أطوارها فى حاجة إلى دعاة ، و إذا كان هؤلاء الدعاة هم عقل الأمة ولسانها ، و إذا كانوا على هذا الاعتبار خليقين ببعض الخصائص الممتازة فى النفس والعقل ضرورة أنهم بنفوسهم وعقولهم إنما يعدون المستقر و يهيئون المآل لجيل قادم ، و يشرفون على جيل حاضر يسايرهم و يسايرونه .

أقول إذا كانت الأمم والدعاة على هذا الوضع فان الموقف يختلف فى كل شعب عنه فى بقية الشعوب والجماعات ، فان لتقاليد الشعب وماضيه ، ومميزاته الجنسية والعقلية ما يجعل مشكلة كل شعب تتلون بلونه الخاص ، فلا بد لها من حل يتفق وطبيعة هذا اللون الخاص يسرا وسهولة .

ولعل أدوار الانتقال هى أهم الأدوار التى تجتازها الأمم وأعقدها . ومن ثم فان الجماعات فى أدوار الانتقال هذه تكون عرضة للاتجاه الخاطئ فى كثير من الأحايين حيث لم يستقر فى أذهان أفرادها هدف خاص ولم تتخذ بعد طريقا واضحا تسير عليه . وانما الأمر لا يعدو أن يكون فى عقلية الجماعة رغبة فى الهدم وطموحا للبناء لا أكثر ولا أقل . فلم يكن فى عقلية الجماعة ساعتئذ اتجاه الى أى شىء آخر كأن يفكر فى ما الذى يهدم من القديم وما هو الأسلوب الذى سيبنى عليه الجديد ؟ وما الفرق بين المهدوم والمبنى ، وهذه أسئلة لاتختلج كثيرا فى نفوس الجماعة فى هذا الدور . فهى تصفق لكل هدم مهما كان المعول الذى يحطم . ولا تنظر الى عاقبة هذا التحطيم ومهما كان الصرح الذى ينهار . ولو كان فى انهياره تقويض المجد الذى بناه أباؤنا الأولون . . وكأن ثورة الحماسة للنهوض البراق المزعوم لاتدع مجالا كبيرا

لرؤية الجماعة . وهى كما قدمنا حاسة لاتكاد تكون ملحوظة الأثر فى عقليتها . فسواء أكان الذى يتحطم من صميم ذات الشعب وتقاليده أم كان من توافه العادات فإن هؤلاء الهادمين سوف يجدون من بين الجمهور دائما أيدى تصفيق وألسنة تاهج بالثناء وأفئدة تدفع الى التشجيع.

وهذا الوضع أو قريب منه كل القرب هو مشكلة عصرنا فى بلدنا هذا . فانه لم تكد المدنية الجديدة ترمى الى عيوننا بشعاع واحد من أشعتها حتى تدافع سواد الناس الى مصدر هذا البريق مهطعين . وفى غير أناة أو روية نبذوا خلفهم كل شىء ، ونسوا قديمهم بخيره وشره ، واستحثوا المطى الى غاية لايعرفون عنها غير بريقها الخلاب الذى أغراهم بهذا السير واجتذبهم بمغناطيسية لمعانه فنشأ مع ذلك دعاة للجديد على وضع لم يستقر بعد فى أذهانهم لأن الأمر كان على وحى السرعة المتعجلة التى تريد أن تصل ولا شىء بعد أن تصل — ودعاة للقديم لايعرفون عن أمر هذا الجديد شيئا وتغلغلت كراهيته فى نفوسهم لالشىء سوى أنه جديد . بل لايعرفون عن قديمهم غير بعض الأوضاع المسترخية التى لاتقوم شعبا ، ولاتنهض بحياة .

وسواء كان الباعث على هذه السرعة فى الأخذ بالجديد والدعوة اليه فى حرارة جمود أصحاب القديم ، وتحكمهم فى عقول الجمهرة الكبيرة من الشعب ، واندفاع أصحاب الجديد فى غير أناة و بصر بالعواقب ، فان افكار الناس قد تجاذبها تياران عنيفان وكان تحال فى ناحية وحفاظ فى أخرى أو مايقال عنه رجعية وتطور . وكان لمظاهر الحياة الجديدة التى صرنا اليها ، وما نتج عنها من اختلاط الشعب واختلاط ألوان الحياة فيه عناصر جديدة تتفق مظاهرها الى حد كبير ومظاهر الدعوة التى يدعون اليها ، كما كان لوضع هذه العناصر الأجنبية بعض الأثر فى انتصار الدعوة الجديدة .

وسواء انتصر هذا أو ذاك فان الذى يعنينا فى الأمر أن ندرك أن أحد هذين العنصرين من الدعاة أو هذين اللونين من الدعوة لم يكن عن دراسة من الداعية وتمحيص وهدى من دراسته وتمحيصه . ولهذا فقد اختلط الأمر على الناس حينا ثم اندفعوا فى غير روية مع أنصار الحديث . وكانوا مندفعين حتما رضوا أم سخطوا لأن العوامل الاجتماعية لا تقف كثيرا عند رضى الراضين . ولا يعوقها عن السير فى سبيلها سخط الساخطين ... وكان ما كان ... ...

وأخيرا تمخضت هذه الثورة الاجتماعية عن وضعنا الحالى الذى لا يزال يتخبط بعض التخبط وان كان قد استقر فى مدرجة الفساد كثيرا من الاستقرار .

ولما كانت الثورة الاجتماعية من أجل الحديث قد اعتمدت فى أول بنائها على نسيان كل القديم ، ما اتصل منه بطبيعة الشعب ومالم يتصل ، فقد بدأت الجماعة تحس مقدار مافقدت من أجل هذا التطور (بعد أن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة) .

فالشعب اليوم لا يجد مميزاته ولا مقومات ذاته فمقومات حضارته تقل صريح عن مظاهر الحضارات الأجنبية حتى لا يكاد أحد الأجانب من النزلاء يحس فرقا كبيرا بين ما شيدته حركة التطور فى مصر وما يجده فى بلاده كل يوم وفى كل مكان .

و إذن فأين وضعنا الخاص بين الشعوب ؟

أين الطابع المصرى الحديث فى الفن أو فى الأدب ، فى البناء والعمارة ، فى الألعاب أو فى وسائل التسلية ؟

أين الطابع الجديد فى التقاليد أو العادات أو فى أى مظهر من مظاهر حياتنا قل أو عظم تفه أو جل ؟

الجواب لاشىء بكل أسف فنحن لم نعد غير بوق يدوى بما يوحى اليه ولكنه لا يقول من نفسه شيئا . و إذن فما العلاج ؟

وهل نقوم الآن بهدم الجديد كله كما هدمنا القديم كله؟ و إذا كان لابد من الهدم، فكيف نسلك السبيل اليه ، بعد أن تمكنت بعض مظاهر الجديد من نفوس الناس واتخذت لها فى حياتهم مجرى فى شرايينهم واحتلت قرارة أنفسهم مستقرا ومقاما ؟

وهنا يبدو دور المرشدين الاجتماعيين . وهنا يأتى مكان الدعاية السليمة . وهنا تظهر قوة الدعاة وحكمتهم ونتائج أعمالهم وأثر دعاياتهم . فالدعوة السليمة تستطيع أن تنتزع من النفوس كثيرا مما رسخ فيها واستقر .

والخطوة الأولى فى هذه الدعوة الجديدة يجب أن تقوم على تحديد الهدف الذى نسعى إليه ونستمد منه عوامل القوة والمضاء فنحدد موقفنا أولا من الحضارة الحديثة . ونعرف مايتفق منها وماضينا الطويل وتقاليدنا العتيدة . . . فالتقاليد والماضى هما نقطة الاتصال بالحاضر ولا حاضر لمن لا ماضى له . و إذا استطعنا أن نتعرف على ماضينا قريبه و بعيده وتدارسنا عوامل القوة والضعف فيه فقد تفهمنا شخصيتنا الكامنة فى خطوة من خطوات حياتنا وكان لفهم هذه الشخصية تجاوب فعال فى صميم نفوسنا .

اذا تعرفنا الماضى بهذا الوضع استطعنا أن نتخذ من حركة التجديد وسائل لتجميل شخصيتنا والنهوض بها لا وسيلة من وسائل هدم هذه الشخصية . و بتركيز هذه الشخصية الشعبية فى نفس كل فرد ينشأ لنا فن جديد وأدب جديد وتقاليد جديدة باعتبار ما نحن فيه لاتختلف مع ماضينا الطويل فى غير المظهر . و بهذا نجد لنا وضعا بين الشعوب بعد أن عشنا بلا وضع خاص و يمكننا أن نسير فى دعوتنا الجديدة على سنن من هذه الشخصية . على أن الدعوة للخير

والاصلاح يجب أن تتوافر لها أدواتها و وسائلها وأن يكون بين القائمين عليها رجال الحكم فلا يفرضوا لأنفسهم وضعا خاصا دون الناس ولا يتركون أمر الدعوة لبعض الناشئين لها ثم يقدموا هم بعد ذلك للشعب أمثلة لا تتفق والاتجاه الذى يريدون من دعواتهم فأكبر عائق للدعايات أن ينقسم الشعب الى طبقات يصدف بعضها عن مسايرة الإصلاح .

وبتضافر الحكام مع القائمين على الدعوة للإصلاح نستطيع أن نكون من مبتكرات الحضارة نفسها وسيلة للإصلاح بعد أن كانت بالأمس من وسائل الافساد . واذا استطعنا أن نحيط الدعوة الى الخير والاتجاه اليه على هذا الوضع من تعرف شخصيتنا الخاصة بوسائل من الإغراء والاستهواء فان سبيلنا الى تركيز تعاليمنا الجديدة فى النفوس معبدة آمنة .

بقيت نقطة واحدة هى شخصية الداعية . ولعل أكبر مانقع فيه من الخطأ فى دعوتنا هو عدم عنايتنا بتخير الداعية . فلا يزال الداعية برغم أنه لا عمل له واضح الحجة يعين فى عمله كما يعين القائمون على الأعمال الآلية من الكتبة و رجال الحفظ وغيرهم من غير اختيار خاص نكشف به سيطرة شخصيته على سواه ومدى استعداده لدور القيادة ، فالداعية قائد اجتماعى ولا شك فى ذلك .

وكما فكرنا فى اختيار الداعية فكرنا كذلك من ناحية أخرى فى العناية به وإظهاره بين من يدعوهم فى وضع اجتماعى ممتاز . فلا تزال طبقة المرشدين والدعاة طبقة ضئيلة الدخل لا تجد لها فى الهيئة التى تعيش فيها وضعا محترما مهيبا فى نفوس الناس . و بفقدان الداعية هذا المعنى نراه يتحول الى ذليل أو ناقم وليس من المصلحة فى شىء أن نكل توجيه الشعب الى ذليل كسير . ولا الى ناقم ثوار لا يستقر .وكيف يفكر للشعب من يعيش فى فاقة واقلال بين الشعب وهمه الذاتى يأخذ كل تفكيره ويشغل كل وقته .

أما تكوين الداعية وهو أمر خطير فلا نزل بعيدين كل البعد عن التفكير فيه تفكيرا منتجا وأستطيع أن أقول ولو أغضبت الكثيرين إن من يصلحون ثقافيا للقيام بدعوتهم فى هذا البلد الطويل العريض لا يتجاوزون عدا أصابع اليد الواحدة أو اليدين .

ولعل السر فى ذلك ما فى سياسة تعليمنا نفسها من تخبط وعدم ارتكاز على أساس من النظر فى حاجيات الشعب وطريق النهوض به من تلك الأمور التى تدفع للتفرقة الفكرية والعاطفية بين أبناء البلد الواحد وقد كان الغرض من التعليم غير ذلك. فهذا التعليم يتجه فى أغلبه الى نسيان ديننا وتقاليدنا وأدبنا .والدين والآداب والتقاليد هى الوسائل الالهية التى بها يمكن أن نتعرف شخصيتنا . ومن ناحية ثانية يتجه هذا التعليم الى ذبان أو إهمال بعض ما لا غنى عنه مما أحدث العلم وبقاء علوم الشرع واللغة على وضع قديم لا يتفق كثيرا مع عصرنا هذا.

فلا بد لنجاح الداعية من جديد وقديم يدرس هـذا وذاك ليخرج فى النهاية بمعانى يلتقى فيها قديمنا بجديدنا ويتحد ماضينا وحاضرنا فلا نعيش غرباء عن أنفسنا أو عن العالم... وهذا النوع من الإعداد مفقود مع الأسف . ولكن الأمر مع ذلك غير ميئوس منه متى صدقت الرغبة وسرنا على السبيل .

وإذا كانت الوسائل اليوم ليست كافية كل الكفاية فلنعمل اليوم بما لدينا ولنعد لغدنا المنتظر عدته فليست الحياة غير مستقبل يرتجى وحاضر يستكمل ما وسعت الطاقة .

وأخيرا ما أثر الدعاية السليمة فى توجيه الأمم ؟ أحسبنى قد قلت كل الشىء .

فليست الدعاية السليمة غير إعداد الأهداف للشعب و إحياء شخصيته فى نفوس أبنائه والحرب الجبارة تعلمها على مظاهر التحلل الذى انتشر فى كل مكان ووسط و إذا استطعنا القضاء على عنصر التحلل وحده فقد أوجدنا المسئولية على عاتق الأفراد وليس أمام المسئولية حين نريد أن ننتصر إلا معرفة الهدف ثم السير الملح الحثيث .

وأخيرا فما أثر الدعاية السليمة؟ لا أقول أكثر من أنها إحياء لمجد الشعوب وخلق لكرامتها وتحديد لما يلى من فضائلها وتوفير أسباب سعادتها وتكوين ذاتيتها على وضع مهيب ونظام مستقر وحياة كريمة .

ونفقنا الله لخير هذا الوطن و إنقاذه ؛

مصطفى الصاوى

وأين الحوادث من صحبة كنحل يحن وأنت الزهر

قليلون عند امتناع القطاف كثيرون عند رجاء الثمر

شوقى

فى مصر الجديدة . . !

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

لاحظ محدثى دهشتى لغرابة مطلبه فعاد يؤكد عبارته بما بدد ريبتى من غايته ، قلت وما يكون بمصر الجديدة يا سيدى وتلك الضاحية غنية بغنى من فيها ، موسرة بيسر ذويها ، وثراء ساكنيها ، وما لنا و بلد القصور وعندنا العاصمة تتفقد فيها الواهى ليقام صدعه ، ونكشف عن البالى ليسارع الراقع إلى رتقه . . !

وهز داعينا الكريم رأسه وهو يقول فى هدوء واطمئنان " سوف ترى فى جوار تلك القصور ما يتفق مع غايتك ويرضى رغبتك " ؛ومد السيد يده إلى حافظة أوراقه ثم دفع إلى ببطاقة تحمل اسم " جمعية الخدمة الاجتماعية بمصر الجديدة " وأوصانى بالاتصال بسيدة فاضلة تتولى الإشراف على مؤسستها لتمدنى بما يفيد بحثى وييسر لى زيارتى .

ولم أجد حيال مقام الداعى الجليل وما له فى معركة الإصلاح من صوت مسموع مجالا لتردد أو محلا لتفكير ، فطويت على الفور أوراقى و أبطت حافظتى ، ومن الترجمان وعشش القرود قفزنا إلى مصر الجديدة . .

فى مبرة الأميرة فريال :

نحن فى شارع المسلة شارع صغير من شوارع الضاحية ، وتلك الدار التى نرى تضم مبرة الأميرة فريال التى أسستها جمعية الخدمة الاجتماعية بالضاحية ، أما القوم بجمع من فقيرات الحى ، قصدن الدار وهن بين مريضة تطلب الشفاء ، أو معوزة تلتمس العطاء .

وسألت خادم الدار ما إذا كانت السيدة المشرفة على المبرة موجودة . . فأجاب أنها تقوم بالدار ما دام العمل قائما بها ، ودنعنى الفضول أن أسأله وهل هى موظفة بالدار ؟ فابتسم الرجل فى تعجب وقال : " ليس هنا من يعمل بأجر سواى . . " .

ومضى الرجل ببطاقتى ومضيت أفكر فيمن تكون تلك السيدة البارة التى تكرس وقتها وتقف جهدها على خدمة لا تبغى فيها أجرا ولا تطلب عنها جزاء ، ورسمت فى مخيلتى صورة سيدة مسنة أحبت الخير وأرادت أن تختم حياتها به ، ولكم كانت دهشتى كبيرة إذ رأيتنى أمام شابة فى عنفوان الشباب ، ولكن سرعان ما زال عجبى وتبددت دهشتى إذ علمت من اسمها الذى

أبت أن أذكره أنها ابنة رجل كريم ، باشا من هؤلاء القليلين الذين عاشوا فى الواجب حتى قضوا فى سبيله .

ولم تشأ السيدة الفاضلة أن تطلعنى على شىء مما أستقصيه حتى أرى مجال عمل الجماعة ودائرة سعيها ، و إذ صادف وجودى تأهب متطوع كريم من أعضاء الجمعية لدراسة حال بعض طالبات الإحسان ، فقد رأيت فى مرافقته إلى بيوت فقراء الضاحية فرصة للوقوف على أمرهم والتحقق مما يكون عليه حالهم لنستقصى مما نرى مابذلته الجماعة فى سبيلهم ونستقرئ مما نشاهد ماينبغى أن يعمل لخيرهم ولتحسين شأنهم .

وانطلقت السيارة تجوب بنا أرجاء الضاحية الفسيحة ومضيت أتأمل تلك اللوحات الغريبة التى دقت بنواصى الشوارع وثبتت برءوس الطرقات ، هذا شارع الاسكندرية وذاك شارع طنطا وهناك شوارع الزقازيق وقنا والأقصر ، ولسنا ندرى هل عدمت البلد أسماء تستحق الذكر وتستأهل التخليد ، أم هو استسهال من الشركة أن تعمد إلى تقويم بلدان القطر تجد فيه ما يغنيها عن مشقة بحث لا يهمها وغاية لا تعنيها .

جد بنا السير وطال ؛ وملت على رفيق أسأله أين مواطن الضعف والنقص فى هذه الضاحية الغنية الجميلة؟ ولم أكد أتم سؤالى حتى رأيت الضعف قد عسعس ، والنقص قد تنفس ، فقد أدركنا الغاية وبلغنا النهاية ...

فى عزبة المسلمين :

وفى جوار هذا النعيم المقيم ، جوار تلك الدور وتجاه هذه القصور ، فى حمى بيوت الكبراء وفى كنف منازل العظماء والأثرياء ، يقوم حى أهمل شأنه لقاء ما بذل لسواه ، واغفل أمره بقدر ما عنى بما عداه .

وسألت رفيق أين نحن قال فى شارع سان استفانو . قلت وما تلك البيوت الهابطة السمات الضيقة الفتحات ؟ قال هى منازل الأهلين إنها يا صاحبى عزبة المسلمين ..

ثم أمسك بذراعى وتقدم بى إلى العزبة لنرى ولنشاهد كيف يعيش هؤلاء المسلمون ؟! .

ومضيت إلى الدور أتأملها فإذا بها أكواخ فى داخل أكواخ وبيوت فى جحورها بيوت .

وأحاط بنا بعض الأهلين يحسبوننا من موظفى الشركة وتقدم أحدهم إلى ينبئنى بأنه هدم العشش من صحن داره حسب أوامر الشركة . و إذ سألت رفيق إيضاحا أنبانى بأن الأهلين فى هذا الحى الوطنى يلاقون صعوبة كبيرة فى الحصول على المساكن وقد اضطرتهم

هذه الحال الى الاتفاق مع مستأجرى بيوت العزبة ليؤجروهم فضاء بيوتهم يشغلونه بأكواخ يأوون إليها ، غير أن الشركة حين علمت بهذا ألزمتهم بازالة تلك الأكواخ و إخلاء مكانها فسارع المساكين إلى خارج العزبة يتزاحمون على أسطح البيوت وفى عشش الدجاج يستأجرونها ليبيتوا متراصين فيها ، وكان يجمل بالشركة قبل أن تكلف القوم بازالة مبانيهم أن تعد لهم مكانا يقيمون فيه بدلا من التجائها إلى هذا الحل الذى زاد الطين بلة .

فى بلوك العمال :

حينما شرعت شركة مصر الجديدة فى تخطيط الضاحية وتشييد مساكنها أقامت للعمال القائمين بالعمل حينذاك دارا كبيرة يأوون إليها ، فلما انتهت عمارة الضاحية أجر هذا البناء الكبير إلى متعهد ، وقام المتعهد بدوره بتأجيره إلى الأهلين ، ولما كان ضيق المساكن فى حى العمال هو أكبر ظاهرة بالضاحية فقد استغل المتعهد هذه الحال لكسب المال قدر ما يستطيع ، لذلك عمد إلى تأجير تلك العمارة الكبيرة حجرة حجرة بل تجاوز ذلك إلى تأجير أسطحها و بئر سلمها وكل شبر أرض فيها .

والعمارة التى أقص عليك نبأها من أكبر عمارات القطر سعة وأكثرها سكانا فهى تشغل مساحة آلاف عديدة من الأمتار وتضم بين جدرانها عدة آلاف من السكان .

وصعدت إلى العمارة أستطلع أمرمن فيها فاذا بى فى مساكن متراصة كأنها تكنة عسكرية أو حى مدارس داخلية حتى إذا أرسلت الطرف إلى مابها ألفيتها كخلية النحل تعج بساكنيها وتدوى بطنين من فيها ، ففى كل حجرة تقيم أسرة و بعض الحجرات يأوى أسرتين بل أن بينها ما جمع ثلاث أسرات — وللقارئ أن يستنتج مقدار الضرر الصحى والأثر النفسانى السيء الذى تخلفه إقامة ثلاثة أزواج وثلاث زوجات بأولادهم فى حجرة واحدة وليس هناك مايحجب بعضهم عن بعض إلا ستار من القماش أو الورق المقوى أو الخشب الذى لا يخلو من ثغرات وفرجات .

ولما لاحظت انعدام المراحيض عنّ لى أن أسأل القوم أين يقضون حاجتهم — قالوا هناك فى المرحاض الكبير خلف العمارة . وهبطت إلى الفناء حيث يقوم المرحاض وبعد مسيرة طويلة بلغت المكان ، حتى إذا دنوت منه ألفيت نفسى أمام قبو مظلم يتدفق الماء القذر منه والناس حوله من رجال ونساء وقوف كل فى انتظار خلو محل له ، ولا أرانى بحاجة إلى وصف متاعب الأهلين الذين لم تفسح الشركة لهم غير هذا المكان الضيق يقضون فيه حاجتهم وهم يربون على الثلاثة آلاف ساكن ، ولا مراء فى أن إلزام الناس بالنزول من العمارة وترك مخادعهم و بينهم الشيخ المسن والمرأة الضعيفة والطفل الصغير فيه ارهاق للساكنين كبير .

وقد حدث هذه الحال ببعض الأهلين أن يعدوا بالحجرات أو نية يقضون بها حاجتهم وهكذا يضيفون — ولهم عذرهم فيما يفعلون — يضيفون إلى هواء مساكنهم فسادا فوق ما يشوبه من فساد .

وخرجنا من العمارة ماترين بحوانيت الباعة القائمة بأسفلها ، وأشار صاحبي إلى هذه الحوانيت قائلا إن بعضها يشغل ليلا بميت الباعة الجائلين لقاء مليات يدفعها الرجل لصاحب الحانوت ومن الغريب أن الشركة حين فطنت إلى هذه الحال شكت الأمر إلى البوليس الذى يعمد بين حين وحين إلى مهاجمة الحوانيت وتحرير محاضر تشرد لمن فيها . وهكذا تعالج الشركة النتائج دون أن تقضى على مبعثها وتعمل على تلافى أسبابها .

فى عزبة شنوده :

وفى بحرى الضاحية من الجهة الغربية تقوم عزبتان للأخوين شنوده ، وأحد الأخوين كما علمت كان موظفا بالحكومة وقد اشترى بعد اعتزاله الخدمة أرضا فى الصحراء وأقام بها أكواخا صغيرة يبيعها للعمال ومن فى حكمهم بطريق البيع الايجارى الذى يقوم الدفع فيه على أقساط شهرية فاذا تخلف المشترى عن السداد أبطل عقده وألزم بالاخلاء ، ولقد أثرى الرجل كما أثرى أخوه الذى أقام عزبة أخرى تعرف بعزبة شنوده القبلية وقام كذلك ببناء عمارة كبيرة فى قلب الضاحية بميدان اسماعيل ، ومن الغريب أن يعمد صاحب العمارة الكبيرة الى شغل سطحها بحجرات لا نوافذ لها يحشر فيها العمال حشرا لقاء ما يدفعونه من أجر .

انتقلنا الى العزبة فتفقد أمر من ترعاهم الجمعية وبحث حال بعض طالبات المساعدة ، وليس فى طوق أن أصور للقارئ ما شاهدت بتلك الأكواخ التى تجاور قصور مصر الجديدة .

ورجعنا الى أوراق الجمعية نهتدى بها خلال الدور : هذه عجوز تطلب إلى الجمعية الدون ، لقد اشترت المرأة بيتها بطريق البيع الايجارى ، وقد كانت قبيل الحرب قادرة على العيش مما تكسبه من مهنة غسل الملابس فلما ارتفعت تكاليف العيش اضطرت صاحبتنا رغبة منها فى مواصلة دفع الأقساط الى تأجير بيتها لقاء ثلاثين قرشا فى الشهر وقنعت بالاقامة جوار جداره مستظلة بقطعة من الخيش ومتخذة من بعض الصفائح الفارغة غرفا — ولسنا ندرى كيف تقوى هذه العجوز على تحمل قر الشتاء ومطره وقيظ الصيف وحره وهى على هذه الحال ، وليت الأمر قد وقف عند هذا الحد ، ذلك بأنها حين اشتد العلاء وتقلت وطأته عجزت عن دفع الأقساط واذ هددها المالك بالغاء العقد واضاعة حقها فى كل ما دفعت لجأت هذه البائسة الى الجمعية تستنجد بها لتتوسط لدى السيد الكريم ليرحم عجزها ويؤخرها الى أجل قريب تعود فيه لسداد ما عليها .

وفى بيت آخر رأينا أما وطفلين تعطل عائلهم حتى اذا ضاقت بهم السبل وعضهم الجوع بعثوا الى الجمعية يسألونها النجدة — وصادفتنا فى الطريق شابة تحمل طفلها تطلب الينا قيد اسمها، قلنا ولك زوج؟ قالت نعم . قلنا وهل هو عاطل؟ قالت لا إنه قوى يعمل حتى اذا سألناها عن مهنته قالت "إنه جندى يتقاضى أربعة وخمسين قرشا فى الشهر يدخن منها ثلاثين وقد اضطررت لقاء هذا الى العمل فى خدمة البيوت ولكنى حين أنجبت هذا الطفل طردت من الخدمة" ! !

كيف يعمل المصلحون :

واذ طال بنا السير وأدركنا التعب عدنا بالسيارة الى مقر الجمعية وهنا التقيت بالداعى الكريم الذى كان له فضل تيسير تلك الزيارة. وابتدرنى الأستاذ الكبير يسألنى ما رأيت ؟ قلت بؤس بين، وفقر يتجلى، ومرض يتفشى، قال: لمحاربة هؤلاء نعمل ولتخفيف ما رأيت نجاهد ونناضل وبدأ رجل الاصلاح يقص على من نبأ الجماعة ما فيه قدوة وأسوة قال :

"منذ أربعة أعوام وفى مجلس يضم لفيفا من رواد الاصلاح عرض البعض لما تقوم عليه الطبقة العاملة فى هذه الضاحية من بؤس وضيق ، واذكر عليهم أن يقيم مواطنوهم على الضيم وهم فى كنف الأغنياء ، وفى وسط ملىء بالأجانب والغرباء نقد انتهوا الى وجوب القيام بعمل لمعونة القوم وتحسين حالهم وعقدوا النية على أن تكون باكورة أعمالهم إقامة مستشفى للفقراء لانعدام المستشفيات بالضاحية غير أن اندلاع نار الحرب وما ترتب عليه من رفع أثمان مواد البناء حال دون السير فى هذا المشروع فقصروا جهدهم على إنشاء مستوصف ودار لرعاية الطفل وكان لشركة مصر الجديدة أثر كبير فى اتمام هذا العمل، وتابع السيد الفاضل حديثه فقال " ولم يكد المستوصف يبدأ عمله حتى شعر المشرفون عليه أزاء ما شاهدوا من فقر رواده وشديد بؤسهم أن مجرد علاج الفقير طبيا لا يغنى فتيلا ما لم يقرن بعمل يرفع مستوى معيشته ويكفل له الصحة فى بيته الذى يأوى اليه ويقيه المرض أن يعاوده ومن هنا نبتت فكرة تكوين جمعية الخدمة الاجتماعية التى بدأت عملها بإعداد مبرة للفقراء تحمل اسم الأميرة المحبوبة فريال ... واسترسل سعادته فى حديثه فقال " وقد توخت الجماعة لتحقيق أغراضها أربعة سبل :

(الأول) مد يد المعونة للفقراء وخاصة النساء بتزويد من تثبت حاجته بالأقوات كالدقيق والبقول والسمن ، كما تمد من تحقق حاجته بالكساء والفرش والغطاء وكذلك الصابون ، ولدينا سبعون أسرة تنال منا المعونة بانتظام ونحن لانبذل معونتنا الا لمن نلمس تعاونهم معنا لتحقيق الغرض الذى ننشده وهو رفع مستواهم الاجتماعى .

(الثانى) العناية بالمرضى وعلاجهم ونحن نعالج بالاشتراك مع جمعية شقيقة هى جمعية مستشفى مصر الجديدة ما يقرب من ثلاث آلاف حالة فى كل شهر مقابل جعل زهيد .

(الثالث) تحرى أسباب الفقر وتيسير العمل للمتعطلين .

وأخيرا : تفقد حال الأسرات و إزالة الخلاف بين الأزواج وحل المشكلات التى تهدد عيشهم .

واستوى أستاذنا الكبير على مقعده ثم قال " يقول المثل الهندى : إذا لم ينتقل الجبل إلى محمد ، انتقل محمد اليه ... " ونحن لا ننتظر الناس حتى يشكوا إلينا ما بهم فقد يمنع الفقير جهله أن يعرف هذا المكان و إنما ننتقل اليه دواما لنرى بأعيننا ما يقيمون عليه ولنتلافى فى ضوء ما نشاهد ما يجب تلافيه .

و إذ كانت الحجرة قد حفلت بكثير من السيدات أشار سعادته اليهن وهو يقول " بجهود هؤلاء السيدات نعمل و بهمتهن تسير الجماعة " .

وأحاطت السيدات بمائدة الاجتماع ودار الحديث واحتدمت المناقشات ولم يكن حديثهن وكلهن من بنات الكبراء وعقيلات ذوى المناصب والعظماء ، لم يكن حديثهن فى " الفساتين والمودات " ولا فى السهرات والحفلات ولكن فى سداد إيجار زكية الغسالة وشراء مرتبة لأم محمد بائعة الحلوى التى أقبل عليها الشتاء وهى تفترش الأرض ، و إعداد عربة لعم ابراهيم المتعطل يبيع بها المأكولات ، وأدوات للحاج بركات لإعداد الشراب بطريقة صحية .

وهنا حضرت السيدة المشرفة على المبرة وعنّ لى أن أسألها أين كانت ، فقالت فى جد واهتمام " كنت أشحذ ... " وسارعت الى صحن الدار لأرى ما ذا شحذت بنت الباشا الكبير ... ولشد ما كان إعجابى حين رأيت المكان ممتلئا على سعته بكل نافع مفيد — هذه بطاطين صوفية وتلك ملابس تقرب من الثمانين جلبابا أخذتها من جمعية الهلال الأحمر وتلك أجولة أرز وصناديق صابون من بعض التجار وهناك أحذية وأدوية تكفى عشرات الأسرات .

وكانت نتيجة باهرة تشهد للسيدة النشيطة بعلو كعبها فى الشحاذة وطول باعها فى التسول والاستجداء ... !

ولم أشأ أن أبرح الدار قبل أن أسأل عن مقدار ما بخزانتها من مال فإذا بى أمام رقم متواضع لا يتجاوز بضع مئات من الجنيهات — والتفت إلى السيد الداعى وهو يقول فى تأكيد ينم عن ثقة واطمئنان " ومع هذا سنشرع فى بناء مؤسسة كبيرة فيها مستوصف للمرضى ومطعم للفقراء وحمامات ومغاسل ومناشر ومراحيض عامة ومخزن لصرف المؤن ودار لرعاية الأمومة تلد به الأمهات و يقمن فيه حتى تتم مدة النفاس ... "

قلت متعجبا كل هذا بتلك المئات القليلة التى تملكون ؟ قال و يغير هذه المئات ثم أردف يقول " إن آفة الإصلاح فى هذا البلد الانتقار الى الشجاعة ووقوف مريديه دواما أمام عقبة المال مكتوفى الأيدى . لقد منحتنا الشركة الأرض وسنشرع قريبا فى البناء " .

وكان موعد الغذاء قد حان فودعت القوم وبنفسى من شعور الإعجاب قدر ما يخالجها من شك فى إمكان نهوضهم بمشروعهم الكبير الذى يتطلب مالا وجهدا لا قبل لمثل هذه الجماعة الصغيرة باحتمالهما .

دعوة :

ولم تكد يمر على زيارتى لدار الجمعية أسبوع واحد حتى تسلمت دعوة لحضور حفلة وضع الحجر الأساسى لإقامة مؤسسات الأميرة فريال بمصر الجديدة — وسارعت الى مصر الجديدة وأنا بين مصدق لما بين يدى ومكذب .

وهناك فى وسط حى العمال بين عزبة المسلمين وعمارة الشركة وبيوت الفقراء شهدنا احتفالا بالغا فى العظمة والرونق ورأينا أكابر البلاد ورجال الحكومة يتقدم الجميع سمو الأمير عبد المنعم نائبا عن مليك البلاد ، كذلك شرف الاحتفال رفعة رئيس الحكومة ووزراء الدولة الحاضرون والسابقون وبين عزف الموسيقى وزغاريد الأهلين الذين ملأوا سطح الدور المحيطة بمكان المؤسسة وضع سمو الأمير الحجر الأساسى لمنشآت الأميرة فريال .

ولم تكد الحفلة تختتم حتى علمت أن الجمعية قد حصلت على أكثر من ألفى جنيه كما وعدها معالى وزير الشؤون الاجتماعية بمنحها إعانة كبيرة — وربت أستاذنا الكبير صاحب الدعوة على كتفى وقال " أرأيت كيف بدأنا وكيف نسير ... قلت : سيدى ... لقد آمنت بالشجاعة وأيقنت بفضل الإقدام ... " وسيكون لعملكم المجيد صداه فى صحيفة الشؤون الاجتماعية ... قال لك أن تحدث الناس بما شئت ولكن دون أن تورد لأسمائنا أو لأشخاصنا ذكرا .

وهنا دنا منا سعادة رئيس الجمعية وقال : لقد تعاهدنا يوم أن بدأنا العمل على أن نتجاهل أشخاصنا ونخفى أسماءها إنما نتجه بعملنا الى الله وحده ففى مثوبته أوفى العطاء وأجزل الجزاء" وانصرفت معجبا بهذه الروح فى بلد اذا مد الرجل يده بدرهم لمحتاج تلفت ذات اليمين وذات الشمال ليتحقق من أن الناس يرون وينظرون ...

مشكلة الطبقات الفقيرة فى مصر الجديدة :

على أن إقامة المؤسسة التى جاونا أمرها على ما له من أثر فى تخفيف ما يحيق بالناس بتلك الضاحية ، لا يعتبر بحال حلا لمشكلة الفقراء بمصر الجديدة التى تتجلى فى ناحيتين :

(الأولى) فى إقامتهم بالضاحية وتزاحمهم على تلك المساكن القليلة التى أعدت لهم .

(الثانية) فى أحوالهم الاجتماعية وما هى عليه من سوء .

فاذا عرضنا للأولى وجدنا أن إقامة العمال ومن فى حكمهم بالضاحية أمر لا مندوحة منه ، وخاصة أن الضاحية تقوم فى جهة منعزلة وليس فى مقدور هؤلاء الفقراء أن يتنقلوا صباح مساء بين مكان عملهم و بين القاهرة ليجدوا فى ر بوعها مكانا لهم .

و إذا كان عقد الامتياز الممنوح للشركة قد أغفل أمر إقامة العمال ولم يحتط لتدبير سكنهم فهناك ضرورة يقضى بها الواقع وهى أن تعد الشركة المسكن المناسب لهؤلاء الذين تقوم على أكتافهم خدمة السكان وتيسير العيش لهم ونحن لا نشك فى أن الشركة ستعير هذا الأمر عنايتها وخاصة أنها قد بدأت تساهم فى الجهود الاجتماعية التى تبذل لتحسين حالة هـذه الطبقات المحرومة إذ منحت كلا من جمعيتى الخدمة الاجتماعية و جمعية مصر الجديدة مساحات واسعة لإقامة مؤسساتها عليها .

أما حالة السكان الاجتماعية فهى كما رأيناها بسبب ما يحيق بهم من فقر وما يتهددهم من مرض .

أما الفقر فمرجعه إلى غلاء الحاجيات وارتفاع إيجار المساكن هذا إلى قلة أرزاق الطبقة العاملة التى تتكون من الخـــدم ومن فى حكمهم من غسالات ومرضعات ثم وفرة الباعة المتجولين وكثرة الجنود المقيمين بالقرب من الثكنات .

وأما المرض فأكثره راجع إلى سوء التغذية من جانب و إلى فساد المسكن الذى يتكدس فيه الناس بحال لا نظير لها فى أى مكان .

والعلاج :

وعندنا لعلاج هذه المشكلة ، سبل ثلاث :

(الأول) توسيع رقعة مساكن الطبقة العاملة باقامة مبان جديدة تساهم فيها الشركة والحكومة ، وحبذا لو عنيت وزارة الدفاع بإقامة ثكنات للمتزوجين من الجنود لما فى ذلك من مساعدة لهم ، فضلا عمـا له من أثر فى تخفيف أزمة المساكن القائمة هناك .

(الثانى) تعاون الأثرياء مع ادارة الجيش للترفيـه عن الجنود وخاصة المتزوجين منهم والعمل على تكوين جمعية تعاونية لتسهل لهم الحصول على أقوات أهليهم .

(الثالث) أن يضاعف الاهتمام بمرافق الضاحية فقـد لمسنا انعدام المراحيض العامة وقلة العناية بتنظيف الأحياء الفقيرة ، كما ينبغى إعداد صنابير مجانيـة كالتى توجد فى كافة أحياء العاصمة .

ولا نرانا بحاجة إلى تذكرة مواطنينا الأثرياء وما أكثرهم بالضاحيـة بالقيام بواجبهم نحو فقراء الحى ، و إلى حثهم على تعضيد تلك الجماعة التى بدأت تعمل فى سبيل هؤلاء المحتاجين .

محمد عبد الكريم

من أمراضنا الاجتماعية :

حب الظهور

للأستاذ عيسى متولى

من الأمراض الاجتماعية المتفشية بيننا داء سيئ الأثر ، هو حب الظهور ، إذ يولع الكثيرون بالظهور أمام الناس بمظهر أرفع من مظهرهم الحقيق ، يحدوهم إلى ذلك حبهم فى التفاخر ، ورغبتهم فى التعاظم ليصبحوا فى عداد من يشار اليهم بالبنان ، من ذوى الحيثية والمكانة ، فيتكلفون فى سبيل ذلك ما استطاعوا ، و يتفننون بختلف الطرق والوسائل لتحقيق أمنيتهم .

والواقع أن الظهور أمام الناس بمظهر غير المظهر الحقيق إنما هو ضرب من ضروب الخداع ، لأن هذا الرجل الذى يخرج على الناس بمظهر غير حقيقته إنما يريد أن يخدعهم وأن يصور لهم نفسه فى صورة تناقض الواقع وتخالف الحقيقة ، ليتصوروه عظيما ، فيبجلونه و ينزلونه من أنفسهم منزلة تليق بمظهر العظمة الذى يتظاهر به بينهم .

ومما لاشك فيه أن حب الظهور يكلف صاحبه الكثير ، لأنه يتكبد فى هذا السبيل ما لاطاقة له به ، فالموظف الذى لايتجاوز راتبه العشرة جنيهات إذا أرادالظهور بين أقرانه بمظهر كبار الموظفين ممن يزيد مرتبهم عن ضعف راتبه ، كلفه ذلك أن ينفق لا بالنسبة إلى مرتبه الصغير بل بالنسبة إلى مرتب من يستطيع أن يرتدى أفخر الثياب وأغلاها ، فهو مضطر إلى إنفاق جانب كبير من راتبه فى الملبس الذى يليق بمظهره ، وهكذا يكلفه حب الظهور الكثير من النفقات مما يرهق ميزانيته ، أو يضطره إلى الاستدانة وتحمل أعباء الديون حتى تثقل كاهله ، كما قال أحد حكماء العرب (حب الظهور يقصم الظهور) لأنه يحمل صاحبه مالا طاقة له بتحمله ، و يرغمه على الاضطلاع بأعباء جسيمة يعجز عن النهوض بها ، فيستهدف لأخطار كثيرة .

ومن أمثلة حب الظهور فى مجتمعنا مايعمد اليه الكثيرون من الاسراف فى إقامة أفراحهم ومآتمهم ، فيقيمون السرادقات الفسيحة ، و يتكبدون النفقات الكثيرة فى إقامة الأفراح والمآتم ،حبا فى الظهور أمام معارفهم وأصدقائهم بمظهر الغنى واليسار ، ولواضطرهم ذلك إلى الاستدانة أو بيع بعض منقولاتهم لجمع نفقات سرادق الفرح وما يتبعه من المصروفات كأن إقامة هذه الأفراح فرض واجب لا مفر من أدائه .

وكذلك فى المآتم نرى الكثيرين يسرفون اسرافا كبيرا فى إقامة السرادقات ، وقديكون للميت أبناء لم يترك لهم من حطام الدنيا شيئا ، ولكن أهله رغم كل ذلك لايتوانون عن اقامة

السرادق خشية عتاب الناس ولومهم .. فيصدق عليهم المثل السائر الذى يقول (موت وخراب ديار) !...

ولو تبصر هؤلاء المسرفون بعين الحقيقة لما اندفعوا الى شيء من ذلك ، ولوفروا على أنفسهم مؤونة هذه التكاليف الباهظة التي لاتدعو اليها ضرورة أوحاجة واقتصدوا فى مآتمهم وأفراحهم على الضروريات ، واذا ترك الميت خيرا لأولاده أبقوه لهم درءا من غوائل الزمان ، ليقيم أودهم ، ويغنيهم عن استجداء الأكف ..

إن ديننا الحنيف دين يسر لاعسر ، ولم يرغما الشارع على أداء فريضة أو نسك لا نستطيع أداءه ، أو تحول ظروفنا دون القيام به ، فقال تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) وقال فى آية أخرى : (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) فلم نكلف أنفسنا مالا طاقة لها به ، بينما يسهل علينا الدين أمورنا ، ويسر لنا فرائضنا ، ويبيح لنا ماحرم علينا فى حالة الضرورة ، وما اضطرنا اليه .

ولا يفوتنى هنا أن أشير الى ظاهرة طيبة بدأت بعض الأسر عندنا تأخذ بها فى السنوات الأخيرة من الاقتصار فى أفراحهم على الخاصة من الأهل ، والاقتصار فى مآتمهم على تشييع الجنازة ، ونرجو أن تشيع هذه الظاهرة بيننا ، حتى تصبح تقليدا يعمل به الجميع .

ويتجلى حب الظهور فى مناسبات أخرى كثيرة ، فلمسه فى هذه الحفلات والولائم التى تقام فى مناسبات سارة كحفلات ختان الأطفال .. فكثيرا ما تصادفنا فى الطريق مواكب تسبقها الطبول وتشترك فيها السيارات محملة بالزهور والرياحين ، ويتوسط الطفل المحتفل بختانه عربة مزينة بالورد والحرير ، كأنه فارس مغوار عاد من ميادين القتال مظفرا ، وقد عقدت على جبينه أكاليل النصر والفخار !...

وما زالت بعض الأسر عندنا تنقل (جهاز) العرس الى منزل العريس فى موكب حافل يتقدمه بعض الأطفال يحمل كل منهم مقعدا ، ثم عربات كثيرة رصت فوقها الوسائد والمنقولات ، ويطوف بهذا الموكب شوارع المدينة تصحبه الموسيقى الى بيت العريس حيث ينتهى به المطاف ، وهذا ولا ريب مظهر من مظاهر حب الظهور ، وإلا فلم لا تنقل هذه المنقولات دون أن تعرض فى شوارع المدينة على هذا النحو المشين ؟!..

وقد يدفع حب الظهور بعض الناس الى اختلاق الأكاذيب ، فينسبون أنفسهم الى عائلات عريقة لا تربطهم بها صلة او وشيجة ، فإذا جلست الى أحد هؤلاء راح يقص عليك نسبه وحسبه ، وانتهز كل فرصة ليؤكد لك صلته الوثيقة بالعظماء وذوى الجاه ، ليلقى فى روعك أنه ذو حيثية لا يستهان بها ، ولا يتورع عن أن ينسب الى نفسه فضلا ليس من حقه ، حبا منه فى الظهور أمامك بمظهر العظمة ، وبسطة السلطان ، وان لم يكن عظيما ، ولا من ذوى السلطان !..

ويزين حب الظهور لبعض الناس المبالغة فى تصوير الحقائق مبالغة تخرج فى كثير من الحالات عن حدود الواقع ، فنجد متجرا صغيرا لا تزيد مساحته عن مترين وعلى واجهته

لوحة كتب عليها (المخازن التجارية الكبرى)... أو نجد مطعما بسيطا يسميه صاحبه (لوكاندة مصر الحديثة) ... أو نجد متجر أحذية متواضع يأبى صاحبه إلا أن يسميه (كوردونيرى العظماء) ... أو نجد صالونا حقيرا يحمل اسم (صالون البرلمان) ... وقد يكتب قصاب على واجهة متجره (جزارة الأمراء) ... وقد يكتب صاحب مقهى صغير على واجهة مقهاه (نادى الملوك) ! ...

هذه المبالغة فى تصوير الحقائق و إطلاق الأسماء ضرب من حب الظهور يتعدى حدود الواقع ، فكأننا نضع صورة صغيرة داخل إطار كبير فيفقد الإطار أناقته ، وتفقد الصورة جمالها لأنها لا تحاط بالاطار الذى يناسبها و يناسب جمالها ، أو كأننا نلبس طفلا رضيعا ثوبا فضفاضا لايتفق وصغر جسمه ، فيبدو فيه غريبا ، يدعو منظره إلى السخرية والاستهزاء !.

قلت فى بدء مقالى إن حب الظهور لون من ألوان الخداع ، لأنه يظهر القبيح جميلا ، والوضيع رفيعا ، والحقير عظيما : فيجب ألا تخدعنا الظواهر أو يصرفنا بريقها عن تحرى حقيقة بواطنها ، ويجب ألا نصدر حكمنا على الناس بمجرد النظر إلى مظهرهم الخارجى ، فنجعل من هـذا المظهر مقياسا نزن به أقدارهم وشخصياتهم ، لأن المظاهر خداعة قد تخفى عن أبصارنا عيوبا كثيرة ، فكثيرا ما يتظاهر المحتالون بمظاهر الوجاهة والأناقة ، ليصرفوا الأذهان عن حقيقة شخصيتهم ، وتطالعنا الصحف بين حين وآخر بأنباء بعض المحتالات ، اللاتى يتسترن بالملابس الأنيقة ، ويدخلن المحلات التجارية الكبيرة يتظاهرن بالشراء ثم يسرقن ما يصل إلى أيديهن من المتجر ، كما نرى آخرين يتظاهرون بالتقوى والورع ليسلبوا الناس أموالهم .

و إذا اتخذنا من المظهر الخارجى ميزانا نزن به أقدار الناس فإننا ولا شك نخطئ التقدير ولا نضع الأمور فى نصابها ، فقد نحكم على شخص بالجهل والغباوة ، وهو فى حقيقته أذكى الأذكياء ... وقد نشهد لآخر بحدة الذكاء وهو فى حقيقته أغبى الأغبياء ... وقد نحكم على شخص يبدو أمامنا وجيه المظهر ، أنيق الثوب ، بعظمة الجاه وغزارة العلم ، وهو فى حقيقته على النقيض من ذلك كله ، وقد نستهين بشخص نراه لا يعنى بملبسه وهندامه ، ونحكم عليه حكما خاطئا .

هـذه المظاهر الكاذبة التى يتستر وراءها بعض الناس أشبه ما تكون بالعملة الزائفة ، فهى و إن كانت تتشكل بشكل العملة الحقيقية وتحمل معالمها ، إلا أنها لا تعادلها فى القيمة لأنها ليست من معدنها ، والعين المتيقظة لا تقبل العملة الزائفة ، ولا تجد صعوبة فى التفريق بين العملتين ، فتقبل الحقيقية منهما ، وترفض الزائفة ...

ومجتمعنا زاخر بألوان شتى من المعادن ، فيجب أن نكون دائما متيقظين وعلى حذر خشية أن تخدعنا المعادن الزائفة أو يغرر بنا بريقها فإن من الزجاج الرخيص أواعا يشبه بريقها بريق الماس ، ومن بعض المعادن ما يماثل الذهب فى لونه ، فلنحذر هذه المعادن الزائفة ، ولنقف من مروجيها موقف الحرص والحذر .

عيسى متولى

المحيط الصاخب

(قصة اجتماعية)

بقلم سمير محمد

قال صاحبي عبد الرحمن وهو يرتشف رشفة من قدح الشاي :

أراك ياصاحبي قد عنيت أخيرا بكتابة القصة المستمدة من صميم المجتمع ، وفي الواقع أن هذا النوع هو المطلوب في هذه الأيام التي نرى فيها بوادر نهضة إصلاحية ، ونرى فيها مباضع الاجتماعيين تعمل في جسم الأمة لإبرائها من جراحها. فالقصة لها أكبر أثر في الإرشاد إذ أنها نتيجة عرض دقيق ومرآة صادقة لما يدور في صدور الناس من أحاسيس ، وفي النهاية هي خير واعظ بنتائجها الصحيحة .

سكت صديقي سكتة قصيرة ، ولم أكن أعهد في صديقي أنه يهتم بالأدب قط ، فقد تزاملنا أيام الدراسة الثانوية ثم افترقنا هو إلى قريته وأنا إلى استكمال دراستي . وانقطعت صلاتنا زمنا طويلا حتى تلاقينا أخيرا ومصادفة عند أحد أصدقائي في الريف وكان من بلدة صديقي ، فدعاني عبد الرحمن لقضاء يومين في ضيافته فقبلت فقد كنت مشوقا إلى تعرف أخباره وتجديد صداقته التي كنت أعتز بها ، لما هو عليه من دماثة الطبع وحميد السجايا .

واستأنف صديقي حديثه فقال :

"أعلم جيدا ياصديقي أنك في شوق إلى معرفة أخباري ويعز علي أن أقصر في إجابة رغبة لك ، سأقص عليك قصتي عساك تجد فيها مادة طيبة لإحدى قصصك الاجتماعية التي كنت أتتبعها باهتمام ، وعسى أن يجد فيها الناس عبرة وعظة .

اعتدل صديقي عبد الرحمن وبدأ يقص قصته فقال :

" قضت والدتي وأنا في الخامسة من عمري وتركتني وشقيقتي التي تصغرني بسنتين نتلمس العطف عند الناس فلا نجده بعد أن فقدنا العطف والحنان بفقدانها . وكان والدي رجلا ضعيف الارادة لا يهمه شيء في الحياة أكثر من ابتعاده عن كل ما يقلق باله ويعكر صفوه ، وفي سبيل ذلك لا يبخل حتى بأولاده . وكان أن تزوج بأخرى بعد وفاة والدتي

بأشهر قليلة، وأرسانى إلى المدرسة، فأتممت دراستى الابتدائية والثانوية، وكدت أتم دراستى العالية وكاد أبى يوافق على ذلك لولا أن وقفت زوجته عقبة كؤودا فى سبيل ذلك. فرحلت إلى بلدتى هذه التى تراها، اباشر زراعة الأرض وأعمل جنبا إلى جنب مع الفلاحين فى المزرعة واستمع إلى أحاديثهم الساذجة وأقاصيصهم الخيالية البريئة. وكنت أجد فيهم وفى القرب إلى الله وزيارة قبر أمى خير سلوان فى حياة الوحدة التى أحياها.

ولم تكن القاهرة بزخارفها وملاهيها وأضوائها لتجتذبنى فقد كنت أسافر إليها على مضض عندما يطلب إلىّ والدى ذلك حتى أؤدى له مهمة أو أنجز له طلبا. فقد كنت أمقت المدن وما فيها بعد أن قاسيت على يد امرأة أبى المتمدينة ما قاسيت، وبعد أن رأيت من قسوتها أشد ألوان العذاب. وكان الدافع الأكبر الذى يغرينى بالزيارة رؤيتى لشقيقتى إلهام فهى الوحيدة التى كانت تحبنى فى هذه الحياة وتعطف علىّ وتمنى لو أعيش إلى جانبها كما كانت لا تفتأ بين الحين والحين تكاتبنى لتستطلع أخبارى وتقصى الكثير من أحوالى.

* * *

ظللت أعيش بين بدائع الفنان الأعظم، استمتع بما وهب الله الريف من فتنة وجمال، فأقضى يومى بين هذه المفاتن لا أحس تعبا فى العمل ولا إرهاقا فى الحياة. كان يومى يبدأ فى ساعة مبكرة جدا عند ما أحس بحركة الفلاحين وهم يسيرون مع بهائمهم الى الحقل وهذا ينادى على ذاك طالبا منه أن يعيره بقرته أو دابته فيجيبه الآخر الى طلبه فى ترحيب وكرم. ويسيرون الى الحقل تلوح على وجوههم علامات الايمان العميق والرضاء بما قسم المولى لهم من رزق، فغنيهم حامد لنعمة الله، وفقيرهم شاكر لا يطلب إلا رضاه، ثم ترسل الشمس ضوءها الذهبى تحييهم، ويزقزق الطير مرحبا بهم، فتشرق نفوسهم وتنشرح صدورهم، وأحس فى أعماق نفسى بجمال الحياة، وعظمة الوجود، وأرى فى الريف الجنة التى وعد الله بها عباده المخلصين. فارتدى ملابسى وأؤدى واجبى نحو الخالق وأخرج الى الحقل أتوغل فيه واستنشق بقوة ملء رئتى الهواء النقى المشبع برائحة الطبيعة الساحرة فيدب النشاط الى جسمى وأقبل على العمل فى نشوة وفرح وأنا أردد: ما أجمل الحياة.

ومن بعيد تصل الى سمعى أناشيد الفلاحين الجميلة منغمة بنغم رائع تردده أصوات قوية كلها فتوة ورجولة، وهم فى جلابيبهم الزرقاء زرقة السماء مقبلون على أعمالهم فى الحقل بروح الهمة والاستبشار فرحون بما منّ الله عليهم به من محصول، متعاونون مع بعضهم فى السراء والضراء متضامنون فى فرحهم وشقائهم متحدون فى أفراحهم وأحزانهم.

فاذا انقضى اليوم رجع الفلاحون من الحقل زرافات ووحدانا وهم يحملون أدواتهم فيدخلون بيوتهم مع بهائمهم وأهلهم ليتناولوا جميعا طعام العشاء. ثم يخرج الرجال الى منتداهم

تحت شجرة الجميز الكبيرة حيث يتعاطون أكواب الشاى الاسود ، فاذا انفض سامرهم أتوا الى منازلهم ليريحوا أبدانهم قليلا حتى الصباح فيستأنفوا برنامجهم من جديد .

كنت وسط هذا الجمع معلما وتلميذا ، أبذل جهدى فى سبيل تنويرهم بما تعلمت ، وأغتنم الفرصة لأسترشد بآرائهم القيمة وتجاربهم المفيدة ، وأنا بين كل هذا وذاك سعيد وراض .

* * *

وذات يوم كنت أجلس وسط الفلاحين فى الحقل أراقبهم وأعمل على إدخال السرور على قلوبهم النقية واذا بخفير من خفراء القرية يدعونى لتلبية نداء التليفون بمكتب العمدة ، فذهبت مسرعا واذا بإلهام شقيقتى هى المتكلمة ، وهى ترجونى وتستحلفنى بأمى رحمها الله . أن أزورهم فى القاهرة لأحضر عيد ميلادها ، وتناشدنى أن أحضر الى القاهرة كى تشعر حقا بتلك المناسبة .

لم أملك ساعتها إلا إجابتها الى ما رغبت فيه ، وهكذا فهمت هى منى وأنا متردد وبين موافق ورافض وقد صور لى الخيال أمى تقف أمامى وتشير الى أن اذهب .

لن أطيل فقد سافرت الى القاهرة فقابلتنى إلهام على المحطة وكان الفرح بلقائى يتبدى فى كل حركاتها ، وكانت هى الوحيدة التى استقبلتنى بيشاشة ، فقد لقيت من أهل المنزل نفورا واشمئزازا وزراية .

تحملت ما لقيت فى سبيل شقيقتى وحتى لا أغضبها يوم عيد مولدها . ولما حل المساء رأيت المنزل قد انقلب رأسا على عقب وازدان بالزهور والرياحين ، وأخلى البهو الكبير وأعد الصالون ، وبالجملة فقد بدا البيت كأنه شعلة من نار يتلألأ بالأنوار الوهاجة الساطعة والأضواء القوية الملتهبة التى تشع على المدعوين والمدعوات الذين بدأوا يفدون على المنزل والذين أخذوا يخاصرون بعضهم البعض ، هذا يراقص زوجة ذاك وذاك يراقص شقيقة هذا . وفعل "الكوكتيل" مفعوله فى رءوس المدعوين فمايل هذا على ذاك واعتنق الشاب من فرط سكره المقعد وجعل يغازله كأنما هو حسناء ، وبالجملة كان الحفل أكبر شاهد على مصرع الأخلاق والأعراض . وكان أبى وزوجته يشاركان المدعوين تهريجهم وضجيجهم وصخبهم فتألمت وتكمصت على عقبى محسورا أنشد هواء نقيا من إحدى الشرفات البعيدة عن الضوضاء .

استلقيت على مقعد طويل وألقيت برأسى الى الخلف ، وأطبقت عينى على مئات من الفكر ، والصور الحليمة التى رأيتها تعدو أمامى متزاحمة كسكان مدينة خافقة ، أخذ منهم الرعب فانطلقوا هاربين .

تذكرت إلهام وقلت فى نفسى : أين هى ؟ فقد اختفت من بين ذاك الجمع الحافل ولم أعد أراها . واذا بها تفتح الباب بهدوء ، وتتلفت بجسدها الأنيق الرشيق وهى تترنح من السكر ، ووجهها الشاحب الحزين يتقسمه فرط الألم . فهرعت اليها وكلمة "أنت؟" تندفع من فمى سريعة ملهوفة كطفلة طروب انطلقت إلى أترابها تلعب ، وأخذتها إلى وضغطتها

كأنما أحميها وأجاستها ... وحدقت فيها بعينين فيهما لهيب أزرق خافت ، فتحت شدقيها عن ضحكة خشنة أشبه بالحشرجة ، ولبثت صامتة كليل أخرس فى صحراء مهولة ... ووثبت دمعتها تصرخ بصمت حين اختنقت الكلمات فى فمها ، فعصر قلبى بكاؤها حتى كاد أن يسحقنى وقلت أحدثها ، وأنا أجر الكلمات من فمى كسرب من عجائز مقعدات فانيات :

— هذا الأب الباغى ... هذه الزوجة المستهترة ... وهذا الفجور والعهر ... وهذه المذابح الأخلاقية ... لقد رضيت بما قسم لى الله وعشت فى الريف هانئا بين النفوس الشريفة والقلوب الطاهرة ... بعيدا عن هذه الأنواع المنحطة من البشر ... بعيدا عن هذه الوجوه البكالحة ... والقلوب الموصدة ... لماذا ؟ لماذا طابت الى أن أحضر وأرى بعينى ما تشمئز منه النفوس الحساسة وغير الحساسة .

... ووثبت من مجلسى كالقذيفة وانطلقت أحوم فى أرض الشرفة كنمر فتى مقطوف نفخ ، ثم التفت اليها بغتة ، وهتفت بها بقسوة :

— وأنت ؟

ففهمت ، ونكست رأسها الجميل كعلم مهين ، ولاكت الكلمات ببطء قائلة :

— لقد أفنيت نصف وجودى كيما أحمل اليك النصف الآخر ...

فولولت صائحا :

— انك تمزقيننى ... انك تنهشين قلبى ... تكلمى ... أوضحى .

فقالت بأسى : لقد تحطمت أنا أيضا ... لقد فقدت كل شىء ... لقد فقدت شرفى ... تحت ستار الاغراء بالزواج ... وكان الجانى هو شقيق زوجة أبى ... هذه الليلة ... وقد هيأ لى أن أتناول كأسا من السم الذى يشربونه فتعاطيت الكأس ولم أدر الا وأنا مضرجة فى دمائى أحاول جاهدة أن أتنبه إلى نفسى فلا أستطيع ...

انطرحت على أحد المقاعد كجدار يتداعى ، ودار الصمت عاينا حتى لكأنه صفائح من فولاذ فقامت الهام واقتربت منى ، وهى لاتكاد تعى من أنا أومن هى ، فالتفت اليها ، فاذا وجهها كساحة حرب بعد المعركة !

... فهمست لى ولصوتها عمق العدل وهدوءه :

— لماذا لم تأخذنى معك ... لماذا تركتنى هنا ... بين أحضان الجريمة والفساد ... لماذا ... ولماذا لم تنقذنى فى بادئ الأمر من هذا الجو الموبوء ... من هذا المحيط الصاخب ... أعرضت عنها وقمت إلى آخر الشرفة وأنا أقول :

— ترى ... هل بعد هذا موضع لألم ... أو لخبال ، أو لجنون ! ؟ ...

ان دماغى ليدور ويدور حتى ليكاد ينفجر ... وان أعصابى لتوتر كأقوى غضبى اشتد عليها اللظى والأسار ، وان كيانى بأسره ليستحيل إلى جريمة هائجة ولكن مقعدة ... يا لرحمة الله ! ...

أنت أيتها الملاك الطاهر ... يعتدى عليك شيطان من مردة المدنية الزائفة ... الا ما أمتع دوى الطبل يصخب مع أنين الناى ... بل ما أرشق باقة الزهر فى كومة الأقذار ... وما أنق حزمة العوسج فى الزهرية الرقيقة ! سخف وعار ، وجنون ...»

اقتربت منها فرأيت أشلاء الألم السامى تراقص فى مقلتيها : فأخذتها الىّ كوحيد لى عليل أعانقه ، فأنفخ فيه من روحى .

التزمت الصمت لحظة ، ثم التفت إليها ، فرأيت فى عينيها خبرا جديدا ، فيهما أمل رشيق ينهض من بين الأشلاء والدماء يقول :

— إذن فلنهرب الى الريف ... الى أبعد من ذلك ... الى بلاد سحيقة ، الى غير هذه الأرض ... أستحلفك يا أختى بحق أمنا الطاهرة رحمها الله ... أنقذ أختك المسكينة ، أختك البريئة ... اختك التى جنت عليها المدنية الغادرة .

وأجهشت فى البكاء ، وتعلقت بى وأنفاسها تعصف وفى وجهها قداسة رائعة ، وفى عينيها بطولة قوية ، ورفعت الى عينين ملأهما الاستسلام وقالت :

— أسترحمنى ... أسترضى أن تأخذنى معك ... بربك أنقذنى يا عبد الرحمن ...

* * *

انقضى الليل وانبلج النهار ، فقمت من فراشى ووقفت بين يدى الله أسأله الهداية والتوفيق ... ثم ارتديت ثيابى وطرقت غرفة إلهام فوجدتها فى كامل هيأتها ومعها حقيبتها فأخذتها معى وغادرنا الجو المسموم ... غادرنا المحيط الصاخب .

وفى هذه القرية حططنا رحالنا ، وعكفت إلهام على خدمتى والعناية بشؤونى وظلت على عهدها هذا حتى خطبها ابن عمى «فاضل» وكان قد بلغه من زوجة عمى خبر إلهام ، فتقدم إلىّ فى رجولة فذة و إخلاص نادر ... ورجانى أن أقبله زوجا لها ...

* * *

وها قد مرت سنوات ثلاث أنجبت فيها إلهام ولدا هو قرة عين أبيه وأمه وهى لا تفتأ تردد على مسمع ولدها أن يقنع بحياة الريف الطاهرة ، وأن يبتعد جاهدا عن المدينة ... وما تحويه من دنس وسخف وعار ... ؟

سمير محمد

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٤ من محرم سنة ١٣٦١
(٣٠ من يناير سنة ١٩٤٢) م

مدير المطابع الأميرية
محمد بكرى

نمرة ١٠٤٧-١٩٤٢-٣٥٠٠